سورة الأنفال

(١٣٥) قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الأنفال: ١

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم**﴾ **قال ثعلب: يعني أصلحوا الحالة التي بينكم**[(١)].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- في هذه المسألة للجواب عن الاختلاف بين (ذات) و(البين) في التذكير والتأنيث، وللعلماء في توجيه ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أن (ذات) نعت لمفعول محذوف تقديره: وأصلحوا أحوالاً ذات بينكم، أو الحالة التي بينكم.

قاله ابن جرير[(٢)]، وأبو حيَّان[(٣)]، والسَّمين الحلبي[(٤)].

الثاني: أن (ذات) بمعنى حقيقة الشيء ونفسه، أي: أصلحوا حقيقة الشيء الذي بينكم.

قاله الزَّجاج[(٥)]، والنَّحاس[(٦)]، وابن عطية[(٧)].

الثالث: أنه جائز مجيء المؤنث على المذكر وكذلك العكس[(٨)].

النتيجة:

الراجح القول الثاني لاستقامة المعنى عليه ووضوحه مع بقاء نظم الآية على أصله بدون تقدير، والقاعدة في ذلك يقلل من المقدر ما أمكن، والله تعالى أعلم.

---

(١) تهذيب اللغة١٥/٣٣، وينظر: تفسير القرآن، للسمعاني٢/٢٤٧

(٢) جامع البيان١١/٢٦

(٣) البحر المحيط٤/٤٥٦

(٤) الدر المصون٥/٥٥٦

(٥) معاني القرآن٢/٤٠٠

(٦) معاني القرآن٣/١٢٨

(٧) المحرر الوجيز٢/٥٠٠

(٨) ينظر: جامع البيان، الطبري١١/٢٦

(١٣٦) قوله تعالى :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴾ ﴾ الأنفال: ١٧

قال ثعلب: المعنى وما رميت الفزع والرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصباء فانهزموا ولكن الله رمى، أي: أعانك وأظفرك، والعرب تقول رمى الله لك، أي: أعانك وأظفرك وصنع لك[(١)].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- في دفع مشكل الآية، حول الرمي المنفي والمثبت لرسول الله ﷺ.

الأقوال في المسألة:

الأول: إيصال الرمي إلى المشركين وإصابتهم وتأثيره فيهم.

قاله جمهور المفسِّرين[(٢)].

الثاني: تقدير الرمي وتَسْبِيبه.

قاله ابن عطية[(٣)]، والقرطبي[(٤)]، وزكريا الأنصاري[(٥)] [(١)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن٩/٤٧٨، وينظر: تهذيب اللغة١٥/١٩٨، ولسان العرب١٤/٣٣٥، وفتح القدير٢/ ٢٩٤

(٢) ينظر:معاني القرآن، للزجاج ٢/٤٠٦، وإعراب القرآن، للنحاس ٢/١٨١، والكشاف ٢/١١٩، ومفاتيح الغيب١٥/١١٢، وفوائد في مشكل القرآن، للعز بن عبد السلام :١٢٧، وأنموذج الجليل، للرازي :١٦٥، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٣٣٢، ٣٧٥، وزاد المعاد ٣/١٦٣، والروض الريان،لابن ريان ١/٧٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٤/٣٠، وفتح الباري١٣/٦٦٣، ورح المجاني٩/١٨٥

(٣) المحرر الوجيز٢/٥١١

(٤) الجامع لأحكام القرآن٩/٤٧٦

(٥) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي ثم القاهري الأزهري الشافعي، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، توفي سنة ٩٢٥هـ، وينظر : الضوء اللامع ٣/٢٣٤، والكواكب السائرة

الثالث: التقدير والإيصال والتسديد.

قاله ابن جرير[٢]، والباقلاني[٣] [٤].

الرابع: رميت وألقيت الرعب في قلوب المشركين.

جوزه النَّحاس[٥]، وابن عطية ونسبه للمهدوي[٦] [٧].

القول الخامس: الظفر بالمشركين.

قاله أبو عبيدة[٨]، وأبوحيَّان[٩]، وجوزه ابن عطية[١٠].

النتيجة:

الراجح القول بأن المراد بالرمي هو تقديره وتسديده حتى أصاب المشركين، لأنه مرتبط بمعنى الرمي المثبت للرسول ﷺ ، وهذا القول يجمع القول الأول والثاني والثالث.

وأما القول الرابع فتحتمله الآية ويحتمله المعنى إلا أن ما قبله أولى منه.

وأما الخامس ففيه صرف لدلالة لفظ الرمي اللغوية إلى معنى بعيد.

١٩٨/١، وشذرات الذهب١٨٦/١٠.

(١) فتح الرحمن، لزكريا الأنصاري:١٥٦

(٢) جامع البيان٨٣/١١

(٣) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم الباقلاني البصري المالكي، أبو بكر، صاحب التصانيف، توفي سنة ٤٠٣هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء١٩٠/١٧، وشذرات الذهب٢٠/٥.

(٤) الانتصار للقرآن٧٥٣/٢

(٥) إعراب القرآن١٨١/٢

(٦) أحمد بن عمار بن أبي ال عبَّاس المهدوي، توفي سنة ٤٤٠هـ، وينظر : بغية الوعاة ٣٥١/١، والوافي بالوفيات٢٥٦/٧.

(٧) المحرر الوجيز٥١١/٢

(٨) مجاز القرآن٢٤٤/١

(٩) البحر المحيط٤٧٧/٤

(١٠) المحرر الوجيز٥١١/٢

(١٣٧) قوله تعالى :﴿ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنسَانِ المُرسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكوِيرِ الانفِطَارِ ﴾ الأنفال: ٢٥

قال : هذا نهي، وتأويله: الجزاء والعذاب إذا نزل عم. فقال: الذين ظلموا منكم خاصة[١] .

الدِّراسة:

للعلماء في قوله تعالى :﴿ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنسَانِ ﴾ أربعة أقوال:

القول الأول: أنه نهي بعد أمر وجملة (لا تصيبن) معمولة لقول مقدر هو صفة لـــ(فتنة) والتقدير: فتنة مقول فيها: لا تصيبن، وفي توجيه النهي أقوال:

الأول: أن النهي تأكيد للأمر، والمعنى: واتقوا فتنة لا تتعاطوا أسباباً يصيبكم فيها مصيبة لا تخص ظالمكم بل تعم.

قاله الأخفش [٢]، والزَّجاج[٣]، والمبرِّد[٤]، وعزاه ابن جرير إلى بعض نحوي البصرة[٥]. البصرة[٥].

الثاني: نهي في تأويل الجزاء على أنه جواب للأمر، والمعنى : اتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم، أو اتقوا فتنة إن أصابتكم لا تصيب الظالمين فحسب بل تعم[٦].

---

(١) مجالس ثعلب١/٣٨

(٢) معاني القرآن٢/٣٢١

(٣) معاني القرآن٢/٤١٠

(٤) ينظر: معاني القرآن، للنحاس٣/١٤٦

(٥) جامع البيان١١/١١٦

(٦) ينظر: معاني القرآن، للفراء١/٤٠٧، والكشاف، للزمخشري٢/٢٠٤

قاله الفرَّاء[1].

واعترض عليه أنه لو كان جواباً للأمر ما دخلت عليه النون، وأجيب عليه أنه جواب للأمر جاء بلفظ النهي[2].

واعترض أبو حيَّان على تقدير الفرَّاء والزَّمَخشَري السابقين فقال:

فانظر كيف قدّر أن يكون جواباً للأمر الذي هو اتقوا ، ثم قدّر أداة الشرط داخلة على غير مضارع اتقوا، فقال: فالمعنى إن أصابتكم يعني الفتنة، وانظر كيف قدّر الفرَّاء في: أنزل عن الدابة لا تطرحنك وفي قوله: ﴿ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ ﴾ النمل: ١٨ ، فأدخل أداة الشرط على مضارع فعل الأمر، وهكذا يُقدَّر ما كان جواباً للأمر!![3]

الثالث:نهي على معنى الدعاء، والمعنى: واتقوا فتنة لا أوقعها الله بأحد.

قاله الأخفش الصغير[4].

القول الثاني: نفي، وجملة (لا تصيبن) صفة لـــ(فتنة)، والمعنى: احذروا فتنة لا تصيب الذين وقعوا فيها من الظالمين فحسب بل تعم الجميع.

قاله ابن عطية[5]، وأبو حيَّان[6].

واعترض على دخول نون التوكيد الثقيلة في الفعل المضارع للجملة الخبرية، وأجيب أن الكلام فيه طرف من النهي، والجمهور على أنه جائز في العربية للضرورة[7].

القول الثالث: جواب قسم محذوف، والجملة القسمية صفة لـــ(فتنة)، والتقدير: فتنة والله لا تصيبن.

واعترض أن جواب القسم إذا دخلته (لا) لم تدخل النون، وأجيب أن ذلك قياساً في

---

(١) معاني القرآن١/٤٠٧

(٢) ينظر: معاني القرآن، للأخفش٢/٣٢١، وجامع البيان، للطبري١١/١١٦، ومفاتيح الغيب١٥/١٥٤

(٣) البحر المحيط٤/٤٨٤

(٤) ينظر: الدر المصون٥/٥٩٣

(٥) المحرر الوجيز٢/٥١٥

(٦) البحر المحيط٤/٤٨٥

(٧) ينظر: المحرر الوجيز٢/٥١٥، والدر المصون٥/٥٩٠

دخولها مع اللام فقط[1].

القول الرابع: اللام لام توكيد.

النتيجة:

الراجح القول الثاني والجملة خبرية صفة لـــ(فتنة) وهذا ما يوافق ظاهر الآية، ويؤيده أحاديث النَّبي ﷺ ومنها قوله:(**إن النَّاس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده**)[2].

(١٣٨) قوله تعالى :﴿ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :**﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ الأنفال: ٣٣ - ٣٤

﴿ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ ﴾

قال: في الدنيا. مثل: وما لهم ألا يعذبهم الله[3].

وفي قوله عز وجل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾

يوم القيامة، وهم قد كفروا في الدنيا، مالهم ألا يقع بهم العذاب . وموضع (أن) رفع[4] .

الدِّراسة:

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز٢/٥١٥

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٣٨) ، والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، رقم (٢١٦٨) وصححه، وابن ماجه في سنه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،(٤٠٧٦)

(٣) مجالس ثعلب١/١٠٦

(٤) مجالس ثعلب١/١٠٢

في المسألة ثلاثة أقوال:

الأول: نفي وقوع العذاب على المشركين والنَّبي ﷺ بين أظهرهم في مكة، واستحقاقهم العذاب بعد خروجه من مكة.

روي عن ابن عبَّاس، وعبدالرحمن بن أبزى[١] رضي الله عنهم[٢]، وقاله ابن جرير [٣]، النَّحاس[٤]، ومكِّي[٥]، والبغوي[٦]، وابن عطية [٧]، ..... وابن كثير[٨].

الثاني: نفي وقوع العذاب على المشركين والنَّبي ﷺ حيٌّ في الدنيا، واستحقاقهم العذاب يوم القيامة في الآخرة.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٩]، وجوزه النَّحاس[١٠].

الثالث: الآية الثانية نسخت الأولى في عدم وقوع العذاب.

روي عن عكرمة، والحسن البصري[١١].

أما موضع (أن) في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ﴾ ففيه قولان:

الأول: النصب أو الجر على حذف حرف الجر والتقدير : في أن لا يعذبهم، والجار متعلق بما تعلق به (لهم) من الاستقرار، والتقدير: أي شيء استقر لهم في عدم تعذيب الله إياهم بمعنى: لا حظ لهم في انتفاء العذاب.

---

(١) عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي مولاهم الكوفي، صحابي جليل، ويظر: أسد الغابة٣/٤١٩، والإصابة٤/٢٣٨.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/١٥٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٩٣

(٣) جامع البيان١١/١٥٧

(٤) معاني القرآن٣/١٥١

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٢٨٠٥

(٦) معالم التنزيل٣/٣٥٤

(٧) المحرر الوجيز٢/٥٢٢

(٨) تفسير القرآن العظيم٤/٥٠

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/١٥١

(١٠) معاني القرآن٣/١٥١

(١١) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/١٥٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٩٣

والثاني: أنها زائدة وهو قول الأخفش[1].

قال النَّحاس: لو كانت كما قال لرفع (يعذبهم)[2].

النتيجة:

الراجح قول جمهور المفسِّرين، وأن المشركين استعجلوا العذاب فأعلمهم الله تعالى أن العذاب واقع بهم لا محالة، ولا وجه لإ يعادهم العذاب في الآخرة وهم قد استع جلوه في العاجل، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون[3].

والقول بالنسخ لا يصح لأن الآية في الأخبار لا في النهي والأمر، ويحمل قول عكرمة والحسن على المفهوم الواسع للنسخ عند السَّلف.

وأما موضع (أن) فالصحيح أنه النصب أو الجر وأما الرفع على قول ثعلب – رحمه الله– فلم أجد من قال به، والظاهر أن هذا القول غير صحيح عن ثعلب، والله تعالى أعلم.

---

(١) معاني القرآن٢/٣٢٢

(٢) إعراب القرآن ٢/١٨٥، وينظر : مشكل إعراب القرآن :٣٠٠، وإملاء ما من به الرحم ن٢/٦، والبحر المحيط٤/٤٩٠، والدر المصون ٥/٥٩٨

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/١٥٧

(١٣٩) قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ ﴾ الأنفال: ٤٢

وفي التتريل: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

وقال ثعلب: القصيا، والقصوى: طرف الوادي، فالقصوى، على قول ثعلب: من قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ بدل(١).

الدِّراسة:

العُدوة في اللغة: هي شط أو شاطئ أو جانب وطرف الوادي(٢).

سميت بذلك لأنها عدت ما في الوادي من ماء أن يتجاوزه أي منعته(٣).

فقول ثعلب -رحمه الله- في بيان المراد بالعدوة وهي طرف وادي بدر الذي وقعة فيه

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٦/٥١٨

(٢) ينظر: العين، معجم مقاييس اللغة، مادة(ع د و)، ولسان العرب، مادة(ع د ا)

(٣) البحر المحيط٤/٤٩٩، وينظر: المحرر الوجيز٢/٥٣٢

غزوة بدر الكبرى بين المسلمين والمشركين.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: أيقنوا أيها المؤمنون، واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بيَّنه لكم ربكم، إن كنتم آمنتم بالله، وما أنزل على عبده يوم بدر إذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله، إذ أنتم حينئذ بالعدوة الدنيا، يقول: بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة، وهم بالعدوة القصوى، يقول: وعدوكم من المشركين نزولٌ بشفير الوادي الأقصى إلى مكة[1].

(١٤٠) قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ﴾ الأنفال: ٥٣

وفي التنزيل العزيز: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم﴾

قال: ثعلب: معناه حتى يبدلوا ما أمرهم الله[2].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- في بيان المراد بالتغيير الذي صدر من المشركين حتى استحقوا زوال النعمة، وهو جواب سؤال مشكل تقديره: ما كان من تغيير مشركي مكة حتى يغير الله نعمته عليهم، مع أنهم كانوا عبدة أوثان غير مستحقين لبقاء النعمة أصلاً؟

فالجواب: هو تبديل الاستجابة لأمر الله تعالى إلى العصيان والاستكبار والمعاداة، فبسبب التمادي في المعصية، تحولت نعمة الإمهال إلى نزول العذاب، وتحول حال المشركين من سخط إلى حال أسخط مما كانوا عليه.

---

(١) جامع البيان١١/٢٠٣، وينظر: معاني القرآن، للفراء١/٤١١، ومعاني القرآن، للزجاج٢/٤١٧

(٢) المحكم والمحيط الأعظم٦/١٢، وينظر: لسان العرب٥/٣٧

قال الزَّمَخشَري:كانوا قبل بعثة الرَّسول إليهم كفرة عبدة أصنام، فلما بعث إليهم بالآيات البيِّنات، فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في إراقة دمه، غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت، فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب[1].

والآية وإن كانت في سياق الحديث عن فرعون ومشركي قريش إلا أنها عامة في كل من عصى أمر الله تعالى، فإنه قد عرَّض نعمة ربه للزوال.

(١٤١) قوله تعالى :﴿ الإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ ﴾ الأنفال: ٥٨

﴿ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ ﴾

أي : ادفع إليهم عهودهم وأعلمهم أنـآ على الحرب[2].

الدِّراسة:

النبذ في اللغة هو الطرح والإلقاء والرمي بدون اكتراث، ومنه قوله تعالى عن أهل الكتاب:﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله ﴾ آل عمران : ١٨٧، وقوله عن يونس عليه السلام:﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ الصافات: ١٤٥[3]

فأمر الله تعالى نبيه إذا أحسّ من أهل عهد نقضاً وخاف خيانتهم أن يلقي إليهم عهدهم وهو النّبذ، ومفعول فانبذ محذوف، والتقدير: فانبذ إليهم عهدهم أي ارمه واطرحه ، وفي

(١) الكشاف٢/٢٢٢

(٢) مجالس ثعلب١/١١

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ن ب ذ)، وجامع البيان، للطبري٢/٣٠٩

قوله فانبذ عدم اكتراث به، وكأنه لا ينبذ ولا يرمي إلا الشيء التافه الذي لا يبالي به، وقوّة هذا اللفظ تقتضي حربهم ومناجزتهم أن يستقصوا ومعنى على سواء أي على طريق مستو قصد، وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بيّناً إنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك[1].

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره وإما تخافن يا محمد من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك وذلك هو الخيانة والغدر ﴿الْخَائِنِينَ الْمُؤْمِنُونَ الزُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ﴾ يقول: فناجزهم بالحرب وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب ، فيأخذوا للحرب آلتها وتبرأ من الغدر، إن الله لا يحب الخائنين الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه قبل إعلامه إياه أنه له حرب وأنه قد فاسخه العقد[2].

(١) البحر المحيط٤/٥٠٥، بتصرف، وينظر: إعراب القرآن، للنحاس٢/١٩٢، والكشاف، للزمخشري٢/٢٢٣

(٢) جامع البيان١١/٢٣٨

(١٤٢) قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ الأنفال: ٦٤

سمعت أبا العبَّاس أحمد بن يحيى يقول في قول الله عز وجل : ﴿ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ يجوز في (مَنْ) الرفع والنصب، فالرفع على النسق على الله، والنصب على معنى: يكفيك الله، ويكفي من اتبعك من المؤمنين[١].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- في توجيه إعراب (مَنْ) على الوجهين:

الأول: الرفع على معنى: يا أيها النَّبي يكفيك الله ويكفيك المؤمنين.

وبهذا المعنى فسَّر الزُّهري وسعيد بن المُسَيِّب[٢]، والفرَّاء[٣].

واستدل أصحاب هذا الوجه بالآيات التي بعدها: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ

---

(١) الزاهر في معاني كلمات النَّاس:١١، وينظر: تهذيب اللغة٤/١٩٢، ولسان العرب١/٣١٢

(٢) جامع البيان، للطبري١١/٢٦١، وتفسير القرآن العظيم٥/١٧٢٨

(٣) معاني القرآن١/٤١٧

هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنفال: ٦٥

ووجه الدلالة: تأييد النَّبي ﷺ بالمؤمنين الذين يغلبون الكفار مع قلتهم.

والثاني: النصب على المعنى والخفض على اللفظ، والمعنى: يا أيها النَّ بي يكفيك الله ويكفي من اتبعك[١].

وبهذا المعنى فسَّر الشعبي وابن زيد، وعطاء الخرساني[٢]، وابن جرير[٣]، ومكِّي[٤]، وابن كثير[٥].

واستدل أصحاب هذا الوجه بالآيات التي بعدها﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنفال: ٦٥

وجه الدلالة: تأييد وكفاية الله تعالى للمؤمنين على الكفار مع قلتهم وكثرة الكفار.

وكذلك قالوا: إن الحسب والكفاية لله وحده، كالتوكل والتقوي والعبادة[٦].

النتيجة:

ما ذكر من أوجه في هذه المسألة كله جائز ولا مانع من حمل الآية عليه، و قد ذكر أصحاب كل قول ما استدلوا به على قولهم، فالله تعالى كافي النَّبي ﷺ والمؤمنين، والنَّبي ﷺ كافيه الله تعالى وكافيه المؤمنين من شر الكفار، ولا تعارض من أن الحسّب والكفاية خاصة بالله تعالى، فكفاية المؤمنين لرسول الله ﷺ هي من كفاية الله تعالى وتوفيقه وتأييده لهم، فهو من باب عطف الخاص على العام، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر مجمل الأقوال في : معاني القرآن، للزجاج ٤٢٣/٢، وإعراب القرآن، للنحاس ١٩٤/٢، والكشاف، للزمخشري٢٢٦/٢، والمحرر الوجيز٥٤٩/٢، والبحر المحيط٥١٥/٤-٥١٦، والدر المصون٦٣١/٥-٦٣٤

(٢) جامع البيان، للطبري٢٦٠/١١، وتفسير القرآن العظيم١٧٢٧/٥

(٣) جامع البيان٢٥٩/١١

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية٢٨٧٣/٤

(٥) تفسير القرآن العظيم٨٦/٤

(٦) زاد المعاد٣٨/١

(١٤٣) قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ
الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس
هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء
الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم ﴾ الأنفال: ٧٢

قوله عز اسمه: ﴿النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة ﴾

قال الفرَّاء: يُريد: ما لكم من مواريثهم من شيء. قال: وكَسْر الواو ها هنا من وِلايتهم أعجبُ إليّ من فتحها، لأنها إنما تُفتح أكثر ذلك إذا أريد بها النُّصرة . وكان الكسائي يَفتحها ويَذهب بها إلى النُّصرة. قلتُ: ولا أظنه عَلِم التفسير[١].

قال الفرَّاء: ويختارون في وَلِيتُه وِلاَية: الكسر، وقد سَمِعناهما بالفتح وبالكسر في مَعْنَيَيْهما جميعاً، وأنشد:

دَعيهم فهم أَلْبٌ عليّ ولايةٌ وحَفْرهمُ أن يَعْلموا ذاكَ دائِبُ [٢]

---

(١) وهو أيضاً من كلام الفرَّاء، ينظر: معاني القرآن١/٤١٩

(٢) لم أهتد إلى قائله، وينظر: معاني القرآن، للفراء١/٤١٩

وقال أبو العبَّاس نحواً مما قال الفرَّاء[1].

الدِّراسة:

المسألة حول المراد بالولاية في الآية، هل هو الميراث أم النصرة؟ وأي القراءات المختارة في (ولايتهم) كسر الواو أم فتحهها؟

الأول: الميراث.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي[2] أنها نزلت في مؤاخاة النَّبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد هجرة المسلمين إلى المدينة، فورَّث بعضهم من بعض.

واستدلوا أيضاً بقراءة حمزة بكسر الواو(وِلايتهم) مصدر من الولي[3].

قال بهذا القول البغوي[4]، والزَّمَخشَري[5]، وابن كثير[6].

الثاني: النُصرة.

قاله الكسائي[7]، وأبو حيَّان[8].

واستدلوا بقراءة الجمهور بفتح الواو(وَلايتهم) مصدر من المولى[9].

وكذلك على المعنى المشهور في والولاية.

الثالث: الميراث والنُصرة.

قاله ابن جرير[10].

واستدلوا بأدلة القول الأول والثاني، وتحمل الآية على معنى القولين ولا تعارض بينهما.

النتيجة:

---

(١) تهذيب اللغة١٥/٣٢٢، وينظر: لسان العرب١٥/٤٠٧

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/٢٨٩-٢٩٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٧٣٩-١٧٤٠

(٣) ينظر: السَّبعة:٢٣٢، وجامع البيان، للداني٣/١١٤٤، والكشف عن وجوه القراءات١/٤٩٧

(٤) معالم التنزيل٣/٣٨٠

(٥) الكشاف٢/٢٣١

(٦) تفسير القرآن العظيم٤/٩٤

(٧) ينظر: معاني القرآن، للفراء١/٤١٩

(٨) البحر المحيط٤/٥٢١

(٩) ينظر: السَّبعة:٢٣٢، وجامع البيان، للداني٣/١١٤٤، والكشف عن وجوه القراءات١/٤٩٧

(١٠) جامع البيان١١/٢٩٣

الراجح القول الأول لموافقته قول السَّلف، ولأنه عطف عليه :﴿ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ ﴾ والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فوجب أن تكون الولاية المنفية غير النُصرة، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه.

وأما القراءات فتدل على معنى الأغلب، فسواء قرئت بالكسر أو الفتح ففيها معنى الميراث والنُصرة كما قاله الفرَّاء، والله تعالى أعلم.

سورة التوبة

(١٤٤) قوله تعالى :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٧

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله﴾

فسَّره ثعلب فقال: هذا هو النسيء كانوا في الجاهلية يجمعون أياماً حتى تصير شهراً، فلما حج النَّبي ﷺ قال: (الآن استدار الزَّمان كهيئته) (١) (٢).

الدِّراسة:

النسء في اللغة: التأخير، يقال: أنسأ الله له في أجله أي أخر له فيه (٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿ ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ البقرة: ١٠٦، أي: نؤخر نزولها على قراءة (نَنْسَأها)، وقول النَّبي ﷺ: **(من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه)** (٤).

قال ابن فارس: والنسيء في كتاب الله التأخير، كانوا إذا صدروا عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول: أنا الذي لا يُرَدُّ لي قضاء، فيقولون: أنسئنا شهراً، أي أخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر، وذلك أنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها لأن معاشهم كان من الإغارة فأحل لهم المحرم، فقال الله تعالى :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (٥).

عن مجاهد في قوله :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ

---

(١) سبق تخريجه ص:٦٥

(٢) المحكم والمحيط الأعظم٢/٥٢٧، وينظر: لسان العرب١١/١٦٧

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة(ن س ي)، ومفردات الراغب، ولسان العرب، مادة (ن س أ)، وجامع البيان، للطبري١١/٤٤٩، والبحر المحيط٥/٣٩، والدر المصون٦/٤٦

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الأدب باب من بسط الله له في الرزق بصلة الرحم، رقم(٥٩٨٥)

(٥) معجم مقاييس اللغة، مادة(ن س ي)

﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: فرض الله الحج في ذي الحجة . قال: وكان المشركون يسمون الأشهر: ذو الحجة، والمحرم، وصفر، وربيعٌ، وربيعٌ، وجُمادَى، وجُمادَى، ورجب، وشعبان، ورمضان، وشوال، وذو القعدة، وذو الحجة، يحجون فيه مرة أخرى، ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه، ثم يعودون فيسمون صفراً صفراً، ثم يسمون رجبًجُمادَى الآخرة، ثم يسمون شعبانَ رمضانَ، ثم يسمون رمضانَ شوالاً، ثم يسمون ذا القعدةِ شوالاً، ثم يسمون ذا الحجةِ ذا القعدةِ، ثم يسمون المحرمَ ذا الحجةِ، فيحجون فيه، واسمه عندهم ذو الحجة.

ثم عادوا بمثل هذه القصة فكانوا يحجون في كل شهر عامين حتى وافق حجة أبي بكر ﷺ الآخر من العامين في ذي القعدة، ثم حج النَّبي ﷺ حجته التي حج، فوافق ذا الحجة ، فذلك حين يقول النَّبي ﷺ في خطبته:(**إن الزَّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض**)[1][2].

(١) سبق تخريجه ص:٦٥

(٢) جامع البيان، للطبري١١/٤٥٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/١٧٩٥

(١٤٥) قوله تعالى :﴿ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ ﴾ التوبة: ٤٧

قوله:﴿ الطُّورِ النَّجْمِ ﴾

وضع وأوضع إذ أسرع[١].

الدِّراسة:

من معاني الوضع في اللغة الإسراع في السير وهو ما يسمى بالعدو[٢].

قال الراغب: ووضعت الدابة تضع في سيرها وضعاً : أسرعت، ودابة حسنة الموضوع، وأوضعتها: حملتها على الإسراع. قال الله عز وجل:﴿ الطُّورِ النَّجْمِ ﴾[٣].

قال ابن جرير: ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم، وأصله من إيضاع الخيل والركاب وهو الإسراع بها في السير. يقال للناقة إذا أسرعت السير: وضعت الناقة تضع وضعاً وموضوعاً. وأوضعها صاحبها: إذا جَدَّ بها وأسرع. يوضعها إيضاعاً[٤].

يحكي الله تعالى في هذه الآية حال المنافقين فيما لو خرجوا مع المؤمنين في جهاد، أنهم لن يستفيدوا منهم إلا فساداً ولسارعوا بالفتنة بين المؤمنين ليفسدوا جهادهم ضد الكافرين ويهنوا من عزيمتهم و يسعوا في المخالفة بين صفوفهم.

---

(١) مجالس ثعلب٢/٤٢١

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(و ض ع)

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(و ض ع)، وينظر: مجاز القرآن١/٢٦١، وغريب القرآن، لليزيدي:١٦٤

(٤) جامع البيان١١/٤٨٣، وينظر: معاني القرآن، للفراء١/٤٣٩، ومعاني القرآن، للزجاج٢/٤٥١، ومعاني القرآن، للنحاس٣/٢١٥

(١٤٦) قوله تعالى :﴿ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ ﴾ التوبة: ٥٢

وقوله تعالى:﴿ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ ﴾ فسَّره ثعلب فقال: الحسنيان الموت أو الغلبة، يعني الظفر أو الشهادة[١].

الدِّراسة:

المراد بالحُسنيَين النصَّر والغلبة والغنيمة على الكفار أو الموت والشهادة في سبيله.

هذا مجمل ما روي عن جمهور المفسِّرين[٢].

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبينت لك أمرهم ، هل تنتظرون بنا إلا إحدى الخلتين ؟ اللتين هما أحسن من غيرهما، إما ظفراً بالعدو وفتحاً لنا بغلبتناهم، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة، وإما قتلا من عدونا لنا، ففيه الشهادة والفوز بالجنَّة والنجاة من النَّار، وكلتاهما مما يُحَبُّ ولا يُؤْثَرَه[٣].

(١) المحكم والمحيط الأعظم١٩٨/٣، وبنظر: لسان العرب١١٦/١٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ٤٩٦/١١-٤٩٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٨٠٨/٦، ومعالم التنزيل٥٧/٤، والبحر المحيط٥٢/٥

(٣) جامع البيان٤٩٦/١١

(١٤٧) قوله تعالى :﴿ طٰهٰ الأنبيَاء الحَجّ المؤمنون النّور الفُرقان الشُّعَرَاء النَّمل القَصَص العَنكبوت الرُّوم لقمان السَّجدة الأحزاب سَبَإ فَاطِر يٰسٓ الصَّافَّات صٓ الزُّمَر غَافِر فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخرُف الدُّخَان الجَاثِيَة ﴾ التوبة: ٦٠

قال الجصَّاص: قوله تعالى :﴿ الأنبيَاء الحَجّ المؤمنون النّور ﴾ قال الزُّهري : الفقير الذي لا يسئل، والمسكين الذي يسئل . وروى ابن سماعة[١] عن أبي يوسف[٢] عن أبي حنيفة في حد الفقير والمسكين مثل هذا، وهذا يدل على أنه رأى المسكين أضعف حالاً وأبلغ في جهد الفقر والعدم من الفقير . وروي عن ابن عبَّاس والحسن وجابر بن زيد والزُّهري ومجاهد قالوا: الفقير المتعفف الذي لا يسأل، والمسكين الذي يسأل . فكان قول أبي حنيفة موافقاً لقول هؤلاء السَّلف. ويدل على هذا قوله تعالى :﴿ الحِجر النّحل الإسرَاء الكَهف مَريَم طٰهٰ الأنبيَاء الحَجّ المؤمنون النّور الفُرقان الشُّعَرَاء النَّمل القَصَص العَنكبوت الرُّوم لقمان السَّجدة الأحزاب سَبَإ فَاطِر يٰسٓ الصَّافَّات ﴾ البقرة: ٢٧٣، فسَمَّاهم فقراء ووصفهم بالتعفف وترك المسألة. وروي عن قتادة قال: الفقير ذو الزَّمَانة[٣] من أهل الحاجة، والمسكين الصحيح منهم . وقيل إن الفقير هو المسكين إلا أنه ذكر بالصفتين لتأكيد أمره في استحقاق الصدقة . وكان شيخنا أبو الحسن الكرخي[٤] –رحمه الله– يقول: المسكين هو الذي لا شيء له والفقير هو الذي

---

(١) محمد بن سماعة بن عبيد الله بن هلال التميمي الكوفي، قاضي بغداد، وصاحب أبي يوسف، توفي سنة ٢٣٣هـ، وينظر: تاريخ بغداد٥/ ٣٤١، وسير أعلام النبلاء١٠/ ٦٤٦.

(٢) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حُبَيش الأنصاري الكوفي، أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، توفي سنة ١٨٢هـ، وينظر: تاريخ بغداد١٤/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء٨/ ٥٣٥.

(٣) الزمانة: من الزَّمِنْ بكسر الميم، وهو الرجل المبتلى، ينظر: الصحاح، ولسان العرب، مادة(ز م ن).

(٤) عبيد الله بن الحسين بن دَلَّال البغدادي الكَرْخِي، أبو الحسن مفتي العراق الحنفي، توفي سنة ٣٤٠هـ، وينظر: تاريخ بغداد١٠/ ٣٥٣، وسير أعلام النبلاء١٥/ ٤٢٦.

له أدنى بلغة، ويحكى ذلك عن أبي العبَّاس ثعلب[1].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بالفقير والمسكين:

الأول: المسكين الأشد حاجة من الفقير.

قاله يونس بن حبيب[2]، ويعقوب بن السكيت [3]، وأبو حنيفة[4].

ودليلهم أنه مشتق من المسكنة والذلة الحاصلة له من السؤال لشدة حاجته، فكلا من المسكين والفقير محتاج لكن المسكين أكثر حاجة ولذلك سأل النَّاس حاجته.

الثاني: الفقير الأشد حاجة من المسكين.

قاله الأصمعي[5] [6]، وهو أحد قولي الشافعي وأصحابه[7].

ودليلهم أنه مشتق من فقرات الظهر، كمن كسر فقرات ظهره فأصبح عاجز، فأطلق على المحتاج العاجز فقير لحاجته وعجزه عن السؤال.

الثالث: المسكين المحتاج الذي يسأل، والفقير المحتاج المتعفف الذي لا يسأل.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والحسن، والزُّهري، ومجاهد، وابن زيد [8]، ومالك[9]، وقاله ابن جرير[10].

الرابع: الفقير والمسكين سواء.

---

(١) أحكام القرآن٤/٣٢٢

(٢) يونس بن حبيب، أبو عبد الرحمن الضبي مولاهم، البصري النحوي، توفي سنة ١٨٣هـ، وينظر: طبقات النحويين واللغويين:٤٨، وسير أعلام النبلاء٨/١٩١.

(٣) تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادةرف ق ر)

(٤) أحكام القرآن، للجصاص٤/٣٢٢

(٥) عبد الملك بن عاصم بن بن عبد الملك بن علي الأصمعي، أبو سعيد البصري اللغوي، توفي سنة ٢١٦هـ، وينظر: مراتب النحويين:٤٦، وسير أعلام النبلاء١٠/١٧٥.

(٦) تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادةرف ق ر)

(٧) أحكام القرآن، للشافعي١/١٦٢

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/٥٠٩-٥١٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/١٨٢٠،١٨١٨

(٩) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي١٠/٢٤٩

(١٠) جامع البيان١١/٥١٤

قاله الشافعي، وسائر أصحاب مالك، وبه قال أبو يوسف[1].

الخامس:الفقير المحتاج المريض، والمسكين المحتاج الصحيح.

روي عن قتادة[2].

السادس: الفقراء من المهاجرين والمساكين من الأعراب.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والضَّحاك[3].

السابع: الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب.

روي عن عكرمة[4].

النتيجة:

الراجح في المسألة -والله تعالى أعلم- أن الفقير والمسكين في الحاجة سواء ، والفرق بينهما في السؤال، فالفقير محتاج مثل المسكين وكلاهما سرواء، إلا أن الفقير متعفف والمسكين يسأل حاجته ولذلك ظهر عليه أثر المسكنة والذلة.

قال تعالى :﴿ الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس ﴾البقرة: ٢٧٣

وهذا التفريق عند اجتماع اللفظين، وأما عند افتراقهما فقد يطلق المسكين ويراد به الفقير المتعفف وكذلك العكس كما قال ﷺ: (**ليس المسكين بالذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، إنما المسكين المتعفف، اقرءوا إن شئتم : ﴿ الأحزاب سبأ فاطر يس ﴾البقرة: ٢٧٣**)[5].

وأما الأقوال التي تخصص الفقير والمسكين بالمهاجرين أو الأعراب أو غيرهم فلا دليل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي١٠/٢٤٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/٥١١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/١٨١٩-١٨٢٠

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/٥١١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/١٨٢٠

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/٥١٤

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير ، باب ﴿ الأحزاب سبأ فاطر يس ﴾ ، رقم(٤٢٦٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، رقم(١٠٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

على ذلك التخصيص، والظاهر من السياق العموم، والله تعالى أعلم.

(١٤٨) قوله تعالى :﴿الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّوْرِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ﴾ التوبة: ٦١

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل:﴿الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ﴾ قال : يصدق المؤمنين.

وقال : اللام تدخل لأنه بُرِي الماضي والمستقبل على الدائم، وهذا قوله.

وأنشد :

يَذُمُّون للدنيا وهم يُ رضِ عُونها أفاويقَ[١] حتى ما يَ دَرُّ لها ثَ علُ [٢][٣]

الدِّراسة:

سبب الخلاف في هذه المسألة هو اختلاف وتغاير الحرفان اللذان عدي العامل بهما، وهل هذا التغاير لقصد معناً إضافي أو ليس كذلك؟

هذا هو سبب تعدد الأقوال في المسألة:

القول الأول:اللام في المؤمنين لام التقوية –زائدة– دخلت لتقوية العامل والمعنى: يصدق بالله ويصدق المؤمنين.

قاله الفرَّاء[٤]، وثعلب، ومكِّي[٥]، والشَّوكاني[٦].

القول الثاني:اللام في المؤمنين زائدة دخلت لتفرق بين (يؤمن) بمعنى يصدق وبين (يؤمن) بمعنى يثبت الإيمان.

---

(١) أفاويق: جمع فِيْقَة: اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين، ينظر: الصحاح، لسان العرب، مادة(ق ي ق).

(٢) البيت لعبد الله بن همام السلولي، ينظر: البصائر والذخائر٥/١٤٧، واللآلى في شرح آمالي القالي٢/٩٢٢

(٣) مجالس ثعلب٢/٤٤٧، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم١٠/٤٩٣، ولسان العرب١٣/٢٤

(٤) معاني القرآن١/٤٤٤

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٣٠٥٠

(٦) فتح القدير٢/٣٧٥

قاله العُكبري[1].

القول الثالث: اللام متعلقة بمصدر محذوف مقدر من الفعل، تقديره: وإيمانه للمؤمنين.

قاله المبرِّد[2].

القول الرابع: عدي الإيمان بالباء لأنه بمعنى التصديق والثاني باللام لأنه بمعنى التسليم، والمعنى: يصدق بالله ويُسَلِّم للمؤمنين ما يقولون.

قاله الزَّمَخشَري[3]، والرازي[4]، وأبو السعود[5].

القول الخامس: اللام في ضمنها (باء)، والتقدير: ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به.

قاله الزَّجاج[6]، وابن عطية[7]، وابن عاشور[8].

القول السادس: الباء واللام زائدتان لا معنى لهما، والمعنى: يصدق الله ويصدق المؤمنين.

قاله ابن قتيبة[9].

النتيجة:

الراجح أن الإيمان للمؤمنين بمعنى التَّسليم لهم فيما يقولون فهم بحاجة إلى من يؤازرهم بالاستماع لهم والتَّسليم لما يقولون.

أما القول بالزيادة في القول الأول والثاني زيادة في الإعراب أي: لا محل لهما من الإعراب مع دلالتهما على معنٍ إضافي فهذا جائز، أما القول السادس بالزيادة في الحرفين وأنه لا معنى لهما فهذا يخالف قاعدة لا زيادة في القرآن، ولو لم يكن هناك زيادة في المعنى والمقصود لما خالف بين الحرفين.

قال السَّمين: فلو لم يقصد معناً مستقل لما غاير بين الحرفين[1].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن٢/١٧

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٢٣، والمحرر الوجيز٣/٥٣

(٣) الكشاف٢/٢٧٦

(٤) مفاتيح الغيب١٦/١١٩

(٥) إرشاد العقل السليم٤/٧٧

(٦) معاني القرآن وإعرابه٣/٤٥٧

(٧) المحرر الوجيز٣/٥٣

(٨) التحرير والتنوير١٠/٢٤٣

(٩) تأويل مشكل القرآن:١٨٣

(١٤٩) قوله تعالى :﴿ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ ﴾ التوبة: ٦٧

﴿ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ ﴾

تركوا الله فتركهم، والله عز وجل لا يَنْسى إنما يَتْرُك (٢).

الدِّراسة:

النسيان هو الغفلة عن شيء كان معلوماً عند الإنسان، لضعف في ذاكرته أو إهمالاً من ذاته لهذا الشيء(٣)، وهذه الصفة يجوز وصف الإنسان بها بخلاف الله تعالى لأنها تعد صفة ضعف ونقص والله تعالى يقول:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ مريم: ٦٤

لأجل هذا الإشكال جاء جواب المفسِّرين عن معنى النسيان في الآية.

قالوا: النسيان بمعنى الترك، والترك قد يعبر عنه في القرآن بالنسيان، لأن من لازم النسيان الترك، فيعد ذلك من التفسير باللازم مثل قوله تعالى:﴿ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ ﴾ البقرة: ٢٣٧ ، وقوله:﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ القصص : ٧٧ ، ونحو ذلك.

ومجمل تفسير الآية: أن المنافقين تركوا أمر الله وطاعته فترك الله ولايتهم ونصرتهم ورحمتهم وتوفيقهم، أو تركهم مخلدين في النَّار.

وهذا هو قول جمهور المفسِّرين(٤)، والله تعالى أعلم.

---

(١) الدر المصون٦/٧٤

(٢) مجالس ثعلب٢/٥٥٠، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٨/٥٨١، ولسان العرب١٥/٣٢٢

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ومقاييس اللغة، مادة(ن س ي)

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري ٢/١١،٣٩٣/٥٤٩، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٢/٤٦٠، ومعاني القرآن، للنحاس٣/٢٣١، والمحرر الوجيز٣/٥٦، والجامع لأحكام القران١٠/٢٩٣، والبحر المحيط٥/٦٨

(١٥٠) قوله تعالى : ﴿العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ۞ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ
ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ۞ ﴿ ۞ ﴾ سُورَةُ
الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمۡرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾ التوبة: ٧٤

﴿ ۞ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

أي : بأمر لم يقدروا أن يتموه [١].

الدِّراسة:

الهم هو العزيمة والنية التي تسبق فعل الشيء سواء كان عمل أو قول[٢].

والله تعالى في هذه الآية يحكي عن المنافقين أنهم عزموا على فعل شيء مخالف لأمر الله تعالى لكنهم لم يتمكنوا من فعله، ولم يصرح تعالى بنوع الشيء الذي هموا به في هذه الآية.

وقد ذكر المفسِّرون عدة أقوال في الشيء الذي هم به المنافقون، ومن الذي هموا به[٣].

(١) مجالس ثعلب٢/٤٧٣، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم١٠/٤١٨، ولسان العرب١١/٦٨٥

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومقاييس اللغة، ولسان العرب مادة(ه م)

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/٥٧٣، وتفسير القرآن لعظيم، لابن أبي حاتم٦/١٨٤٤، والكشف والبيان٥/٧٠، والتفسير البسيط١٠/٥٥٤، ومعالم التنزيل٥/٧٥، والمحرر الوجيز٣/٦٠، وزاد المسير٣/٤٧١، والجامع لأحكام القران١٠/٣٠٤، والبحر المحيط٥/٦٨

(١٥١) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ التوبة: ١٠١

﴿ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾

قال ثعلب: استنمروا على النفاق[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: استنمروا وعتوا وطغوا وتمردوا في النفاق حتى بلغوا الغاية فيه ومرنوا عليه.

ومن معاني (نمرا) في اللغة صعد وعلا[٢]، فمعنى: ﴿ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ على قول ثعلب -رحمه الله- أي: علو وصعدوا في درجات النفاق حتى طغوا وعتوا خبثاً ونفاقاً ، يقال : شيطان مارد، أي: بلغ الغاية في العتو والشيطنة.

قال بهذا القول أبو عبيدة[٣]، واليزيدي [٤]، وابن الأعرابي [٥]، وابن ج رير [٦]، والواحدي[٧]، والبغوي[٨]، وابن عطية[٩]، والسَّمين الحلبي[١٠]، وابن كثير[١١].

الثاني: أقاموا ولَجُّوا في النفاق وأبوا غيره و لم يتوبوا.

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني ٣٤٣/٢

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب مادة(ن م ر)

(٣) مجاز القرآن٢٦٨/١

(٤) غريب القرآن:١٦٦

(٥) تهذيب اللغة(م ر د)

(٦) جامع البيان، للطبري٦٤٣/١١

(٧) التفسير البسيط٢٧/١١

(٨) معالم التنزيل٨٩/٤

(٩) المحرر الوجيز٧٦/٣

(١٠) عمدة الحفاظ، مادة (م ر د)

(١١) تفسير القرآن العظيم٢٠٤/٤

روي عن ابن زيد[1]، ومحمد بن إسحاق[2]، وقاله الراغب الأصفهاني[3]، والقرطبي[4].
والقرطبي[4].

الثالث:مرنوا على النفاق وجرنوا ودربوا عليه.

قاله الفرَّاء[5]، ومكِّي[6].

النتيجة:

لا تعارض بين الأقوال المذكورة وهي صحيحة في دلالتها على المعنى من اللفظ، لكن الراجح منها ما اشتمل على مجمل الأقوال وهو القول الأول وبه قال جمهور المفسِّرين، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١١/٦٤٣، وتفسير القرآن لعظيم، لابن أبي حاتم٦/١٨٦٩

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١١/٦٤٣، وتفسير القرآن لعظيم، لابن أبي حاتم٦/١٨٦٩

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(م ر د)

(٤) الجامع لأحكام القرآن١٠/٣٥١

(٥) معاني القرآن١/٤٥٠

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٣١٣٥

(١٥٢) قوله تعالى :﴿ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ ﴾ التوبة: ١١٧

وقال أبو العبَّاس أحمد بن يحيى ثعلب في قوله عز وجل: ﴿ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ ﴾

قال: غفر له ما تقدم من الجاهلية قبل أن يوحى إليه بأربعين سنة، إنما كانت مجمل ثم أوحي إليه[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بتوبة الله على النَّبيﷺ:

الأول: تاب عليه في ما كان منه ﷺ في الجاهلية قبل أن يوحى إليه.

قاله ثعلب -رحمه الله- و لم أجد من أشار إليه من المفسِّرين، لكن هذا التخصيص يحتاج إلى دليل ينص على ذلك.

الثاني: الاستغفار للمشركين قبل النهي عنه.

الثالث: الإذن في التخلف عن غزوة تبوك[٢] [٣].

قاله الواحدي[٤]، والبغوي[٥].

الرابع: لم يكن هناك ذنب ولكن ترك للأولى والأليق.

الخامس: لا يلزم من التوبة أن يسبقها ذنب فقد يكون معناها الإنابة إلى الله تعالى

---

(١) مجالس ثعلب١/٧٧

(٢) تبوك: مدينة تقع في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية، غزى فيها النَّبي ﷺ الروم، وينظر: معجم البلدان٢/١٤، وموسوعة المدن العربية:١٤٩.

(٣) ذكره الواحدي في البسيط عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما١١/٨٠، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن١٠/٤٠٧

(٤) الوسيط٢/٥٢٩

(٥) معالم التنزيل٤/١٠٤

والرجوع إليه بالطاعة والاستغفار، ومن صفات الأنبياء والصالحين الأوابين والتوابين.

قاله ابن جرير [1]، . . . . . .

ومكِّي[2]، والزَّمَخشَري[3]، و ابن عطية[4].

السادس: ذكر النَّبي ﷺ لأجل التعريض للمذنبين بأن يتجنبوا الذنوب ويتوبوا إلى ربهم.

السابع: ذكر النَّبي ﷺ لأنه كان سبب توبة المهاجرين والأنصار، فهو مفتاح كلام وتشريف لهم، كقوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى: ﴿ بِسْمِ ﴾ الأنفال: ٤١[5].

وقد جوز الشَّوكاني مجمل الأقوال المتقدمة في فتح القدير[6].

الثامن: استنقاذهم من شدة العسرة، تاب الله تعالى عليهم بعد ما كادوا يرجعون م ن غزوهم لشدة ما أصابهم فيها من الحر، فأقفلهم من غزوهم وأنقذهم من شدها.

روي عن قتادة[7]، وقاله الزَّجاج[8]، والنَّحاس[9].

التاسع: خلاصهم من نكاية العدو.

وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها لوجود معنى التوبة فيه، وهو الرجوع إلى الحالة الأولى[10].

العاشر: لا يؤاخذهم بما يحسبون أنه سبب مؤاخذة، أي غفر لكم وتجاوز عنكم، و لم يكن هناك ذنب عليكم.

---

(١) جامع البيان، للطبري١٢/٤٩

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٣١٧٧

(٣) الكشاف ٢/٣٠٥

(٤) المحرر الوجيز٣/٩٢

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان عن أهل المعاني /١٠٤، والواحدي في البسيط ١١/٨٠، وابن الجوزي في زاد المسير٣/٥١١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن١٠/٤٠٧

(٦) ينظر: فتح القدير٢/٤١٣

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٢/٥١، وتفسير القرآن لعظيم، لابن أبي حاتم٦/١٨٩٩

(٨) معاني القرآن وإعرابه٢/٤٧٤

(٩) معاني القرآن ٣/٢٦٤

(١٠) ينظر: النكت والعيون٢/٤١٢.

قاله ابن عاشور[1].

النتيجة:

لا يوجد في الآية ذكر لذنب وقع منه ﷺ حتى تخصص التوبة بشيء، فالأولى حمل معنى التوبة من الله على العبد على التوفيق للطاعة والاستغفار والرجوع إليه، وليس من لازم التوبة وقوع ذنب بل التوبة والرجوع إلى الله تعالى بالطاعة والاستغفار وترك المعاصي واجب على العبد سواء وقع في الذنب أم لم يقع.

(١) التحرير والتنوير١١/٤٩

(١٥٣) قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾ التوبة: ١٢٣

قال ثعلب: (أولى لك) في كلام العرب معناه: مقاربة الهلاك، كأنه يقول: قد وليت الهلاك أو قد دانيت الهلاك، أصله من الولي وهو القرب، ومنه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: يقربون منكم[1].

الدِّراسة:

جمهور المفسِّرين على أن معنى الآية هو ما ذكر ثعلب -رحمه الله- في الأمر بقتال الأقرب فالأقرب من أعداء المسلمين إلى المدينة[2].

وقد أخذ معنى الآية وتفسيرها من كلام العرب وهذا من مصادر تفسير القرآن الكريم لأنه نزل بلسان عربي مبين.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن١/٤٥٩

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٣١٩٤، والتفسير البسيط١١/٩٦، والجامع لأحكام القرآن١٠/٤٣٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٤/٢٣٧

سورة يونس

(١٥٤) قوله تعالى : ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ ﴾ يونس: ٢

وروي عن أحمد بن يحيى ﴿ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ القدم: كل ما قدمت من خير ، وتقدمت فيه لفلان قدم أي: تقدم في الخير[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـــ(قدم صدق) الذي وعده تعالى المؤمنين:

الأول: كل خير من الأعمال الصالحة التي قدموها.

روي عن مجاهد[٢]، وقاله أبو عبيدة[٣]، وابن جرير[٤]، والقرطبي[٥].

قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال معناه أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب ، وذلك أنه محكي عن العرب هؤلاء أهل القدم في الإسلام أي: هؤلاء الذين قدموا فيه خيرا ، فكان لهم فيه تقديم، ويقال له عندي قدم صدق، وقدم سوء، وذلك ما قدم إليه من خير أو شر[٦].

الثاني: أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٧]، وقاله ابن عطية[٨].

الثالث: أن محمداً ﷺ شفيع للمؤمنين، فهو لهم قدم صدق.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة٩/٥٦، ولسان العرب١٢/٤٦٦

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٢/١٠٨-١١٠، وتفسير القرآن لعظيم، لابن أبي حاتم ٦/١٩٢٣، والنكت والعيون٢/٤٢١، والتفسير البسيط١١/١١٨-١٢٠، والهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣١٢٢

(٣) مجاز القرآن ١/٢٧٣

(٤) جامع البيان ١٢/١١١

(٥) الجامع لأحكام القرآن١٠/٤٥٠

(٦) جامع البيان ١٢/١١١

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٢/١١٠

(٨) المحرر الوجيز٣/١٠٣

روي عن قتادة أو الحسن بالشك، وزيد بن أسلم[١]، ومقاتل بن حيَّان[٢].

الرابع: المترلة الرفيعة.

قاله الزَّجاج[٣]، والنَّحاس[٤]، والزَّمَخشَري[٥].

الخامس: الثواب والأجر الحسن.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والضَّحاك، والرَّبيع بن أنس، وابن زيد[٦].

النتيجة:

الأقوال المتقدمة لا تعارض بينها ولا تضاد، والاختلاف فيها هو من اختلاف التنوع في معنى الآية.

فالمؤمنون لهم عند ربهم مترلة رفيعة بسبب إيمانهم وعملهم الصالح الذي يستوجبون به كل خير من الحسنات والأجر العظيم، فيشمل هذا القول كل ما وعده الله تعالى ا لمؤمنون من خير في الآخرة، وإذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري ١١٠/١٢

(٢) ينظر: تفسير القرآن لعظيم، لابن أبي حاتم١٩٢٣/٦

(٣) معاني القرآن وإعرابه٦/٣

(٤) معاني القرآن ٢٧٧/٣

(٥) الكشاف ٣١٧/٢

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٠٨/١٢-١١١، وتفسير القرآن لعظيم، لابن أبي حاتم ١٩٢٣/٦، والنكت والعيون٤٢١/٢، والتفسير البسيط١١٨/١١-١٢٠، والهداية إلى بلوغ النهاية٣١٢٢/٥

(١٥٥) قوله تعالى : ﴿ الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف ﴾ يونس: ١٢

﴿ الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل ﴾

قال: أي: دعانا متكئا، أو في هذه الحال، أو في هذه الحال[١].

الدِّراسة:

اختلف العلماء في متعلق قوله﴿ المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل ﴾ على قولين:

القول الأول: (دعا) والمعنى: إذا مس الإنسان الضر دعا ربه على جنبه أو قاعداً أو قائماً، كما قال ثعلب -رحمه الله-.

قاله أبو عبيدة[٢]، وابن جرير[٣]، والواحدي[٤]، والبغوي[٥]، والزَّمَخشَري[٦]، والعُكبري[٧]، والقرطبي[٨]، وابن كثير[٩]، وأبو السعود[١٠]، والشَّوكاني[١١]، وابن عاشور[١٢].

---

(١) مجالس ثعلب١/١٦٥

(٢) مجاز القرآن ١/٢٧٥

(٣) جامع البيان ١٢/١٣٢

(٤) الوسيط٢/٥٤٠

(٥) معالم التنزيل٤/١٢٤

(٦) الكشاف ٢/٣٢١

(٧) إملاء ما من به الرحمن٢/٢٥

(٨) الجامع لأحكام القرآن١٠/٤٦٤

(٩) تفسير القرآن العظيم٤/٢٥٢

(١٠) إرشاد العقل السليم٤/١٢٦

(١١) فتح القدير٢/٤٢٩

(١٢) التحرير والتنوير١١/١١٠

القول الثاني: (مس) والمعنى: وإذا مس جنب الإنسان الضر أو وهو قاعد أو قائم دعا ربه.

وجوز القولين الزَّجاج[1]، والنَّحاس[2]، وابن عطية[3].

النتيجة:

الراجح من القولين الأول.

قال العُكبري: وقيل العامل في هذه الأحوال (مَسَّ)، وهو ضعيف لأمرين:

أحدهما:أن الحال على هذا واقعة بعد جواب (إذا) وليس بالوجه، والثاني : أن المعنى كثرة دعائه في كل أحواله، لا على أن الضر يصيبه في كل أحواله. وعليه جاءت آيات كثيرة في القرآن[4].

قال تعالى:﴿ الْتَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ ﴾آل عمران: ١٩١

فالقول الأول أقوى من جهة الإعراب، وموافق لترتيب السياق، والغالب في القرآن.

ومن القواعد في ذلك:

يحمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة.

القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير في الأصل.

الأصل حمل كلام الله على المعنى الغالب في القرآن.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه٣/٩

(٢) معاني القرآن ٣/٢٨١

(٣) المحرر الوجيز٣/١٠٩

(٤) إملاء ما من به الرحمن ٢/٢٥، وينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣/٣٥٤، والبحر المحيط٥/١٢٩، والدر المصون٦/١٦٠

(١٥٦) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ ﴾ يونس: ٢٢

قال ثعلب و المبرِّد: خرج من المخاطبة إلى الإخبار، فالمخاطبة ﴿ٱلْعَظِيمَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ﴾. ﴿ ٱلرَّجِيمِ ﴾: إخبار[(١)].

الدِّراسة:

وهذه من أساليب العرب في الكلام ، ومن البلاغة الالتفات في الكلام من الخطاب إلى الغيبة، أومن الغيبة إلى الخطاب، وقد اهتم ثعلب –رحمه الله– في الإشارة إلى ذلك.

ولهذا الأسلوب في الكلام أغرض، ومن الأغراض في هذه ما ذكره بعض أهل العلم:

أولاً: المبالغة في التقبيح والإنكار عليهم، فأعرض عنهم وحكي لغيرهم سوء عملهم[(٢)].

ثانياً: قال أبو حيَّان: والذي يظهر والله أعلم أنّ حكمة الالتفات هنا هي أنّ قوله : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾، خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين ، والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار ، والخطاب شامل، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر، ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع، فلما ذُكرت حاله آل الأمر في آخرها إلى أنْ الملتبس بها هو باغ في الأرض بغير الحق ، عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي[(٣)].

---

(١) ينظر: ياقوتة الصراط: ٢٥٤، والكامل، للمبرد١/٧٢٩

(٢) ينظر: الكشاف ٢/٣٢٧، وروح المعاني٦/٩١

(٣) البحر المحيط٥/١٣٨، وينظر: الدر المصون٦/١٧١، والتحرير والتنوير١١/١٣٥

(١٥٧) قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤﴾ يونس: ٢٧

قال ثعلب: من قرأ (قِطْعاً) جعل المظلم من نعته، ومن قرأ (قِطَعاً) جعل المظلم قطعاً من الليل، وهو الذي يقول له البصريون الحال[(١)].

الدِّراسة:

القراءات مع توجيهيها:

قرأ ابن كثير والكسائي بإسكان الطاء (قِطْعاً) بالتوحيد، على أنه بعض الليل، ويكون (مظلماً) صفة لـــ(قطع)، أو حالاً من الضمير في (من الليل).

وقرأ الباقون بفتح الطاء (قِطَعاً) وفيه معنى المبالغة لسواد وجوه الكفار، ويكون (مظلماً) حال من (الليل) [(٢)].

وهذه القراءات كلها متواترة ومعانيها صحيحة، ومن بلاغة القرآن العظيم الذي أنزل على سبعة أحرف.

(١٥٨) قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ

(١) ينظر: تهذيب اللغة١/١٢٨، ولسان العرب٨/٢٨٢

(٢) ينظر: السَّبعة:٢٤٣، وجامع البيان، للداني ٣/١١٧٦، والقراءات وعلل النحويين فيها ١/٢٧٠، والكشف عن وجوه القراءات السبع١/٥١٧

ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴾ يونس: ٥٤

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال: من رؤسائهم(١).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

اختلف المفسِّرون في معنى الفعل (وأسروا) والفاعل على عدة أقوال:

الأول: أخفى الرؤساء الندامة من سفلتهم خشية توبيخهم.

قاله الفرَّاء(٢)، وابن جرير(٣)، والزَّجاج(٤)، ومكِّي(٥)، والواحدي(٦)، والقرطبي(٧).

قال أبو حيَّان: وهذا فيه بعد لأن من عاين العذاب هو مشغ ول بما يقاسيه منه، فكيف له فكر في الحياء وفي التوبيخ الوارد من السِّفلة، وأيضاً (وأسروا) عائد على كل نفس ظلمت على المعنى وهو عام في الرؤساء والسِّفلة(٨).

الثاني: أخفى الندامة الرؤساء والمرؤوسون عند رؤية العذاب، حيث سلبت منهم قواهم عند رؤية ما ليس لهم به طاقة.

قاله الزَّمَخشَري(٩)،وابن عطية(١٠)، وأبو السعود (١١)، والألوسي (١٢)، .....

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٣١، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٨/٤٠٦، ولسان العرب٤/٣٥٧

(٢) معاني القرآن١/٤٦٩

(٣) جامع البيان ١٢/١٩٢

(٤) معاني القرآن وإعرابه٣/٢٥

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٣٢٨٢

(٦) الوسيط٢/٥٥٠

(٧) الجامع لأحكام القرآن١١/٨

(٨) البحر المحيط٥/٦٩

(٩) الكشاف ٢/٣٤٠

(١٠) المحرر الوجيز٣/١٢٥

(١١) إرشاد العقل السليم٤/١٥٤

(١٢) روح المعاني٦/١٣٠

وابن عاشور[1].

الثالث: أظهروا الندامة عند رؤية العذاب، فيوم القيامة ليس يوم تصنع أو تصبر.

وقالوا: الإسرار من الأضداد، يقال: أسررت الشيء أخفيته، وأسررته أعلنته[2].

قاله أبو عبيدة، وقطرب، والمفضل الضبي[3].

الرابع: بدت الندامة أسرة وجوههم، وهي تكاسير الجبهة.

قاله المبرِّد[4].

وهذا القول فيه بعد وتكلف وتقدير مع إمكانية حمل الآية على معنٍ سليم بدون هذا كله.

الخامس: جوز أبو حيَّان معنى الإظهار والإخفاء للندامة من جميع الظالمين[5].

النتيجة:

الأولى في حمل معنى الإسرار في الآية على المشهور في القرآن وكلام العرب، وهذا ما يوافق معنى إخفاء الدَّامة عند رؤية العذاب.

﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ الملك: ١٣

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ البقرة: ٧٧

وأما القول أن يوم القيامة ليس فيه تصنع وتكتم، وأسر من الأضداد فيحمل المعنى على الإظهار، فالجواب: أن حال النَّاس في يوم القيامة ليس على حال واحدة بل على أحوال عديدة، فوقت يكون فيه إظهار للندامة، ووقت يكون فيه إخفاء على حسب الأحوال.

وأما من الذين يخفون الندامة، أهم الرؤساء فقط، أم الرؤساء والمرؤوسون؟

---

(١) التحرير والتنوير١١/١٩٧

(٢) ينظر: الأضداد، للأصمعي:٢١، والأضداد، للأنباري: ٤٦، والوسيط٢/٥٥٠، و الكشاف ٢/٣٤٠، والمحرر الوجيز٣/١٢٥

(٣) ينظر: التفسيرالبسيط١١/٢٢٥-٢٢٦، وزاد المسير٤/٣٩، الأضداد، لأنباري:٤٦، و لم في أجد هذا القول في مجاز القرآن عن أبي عبيدة، وقد أنكر هذا القول الأزهري في التهذيب مادة (س ر)، والسجستاني في الأضداد:١١٤

(٤) ينظر:معاني القرآن، للنحاس ٣/٣٠٠

(٥) البحر المحيط٥/٦٩

فالجواب: أنه من الجميع، وضمير (أسروا) عائد على (كل نفس) وهي أنفس جميع الكافرين، ويدل على ذلك مجيء(كل) وتنكير النفس.

ويؤيد دخول المرؤوسين في الندم عند رؤية العذاب، قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سبأ: ٣٣

(١٥٩) قوله تعالى: ﴿الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ﴾ يونس: ٦١

﴿الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ﴾

سئل ثعلب عنها فقال: إن مائة نملة وزن حبة، والذَّرَّة واحدة منها[١].

الدِّراسة:

يريد ثعلب -رحمه الله- أن الذَّرَّة هي الرمَّلة الواحدة، وهي صغار الرمَّل، وهذا هو القول الأول.

قاله أبو عبيدة[٢]، وابن جرير[٣]، والنَّحاس[٤]، والواحدي[٥]، والبغوي[٦]، والرازي[٧]، والرازي[٧]، والقرطبي[٨]، والشَّوكاني[٩]، والألوسي[١٠]، وابن عاشور[١١].

قال ابن جرير: والذَّرَّة واحدة الذَّرَّ، والذَّرُّ صغار النمل[١٢].

القول الثاني: الذرة واحدة الهباء، وهو ما رُئي في شعاع الشَّمس من كوة ونحوها[١].

---

(١) ينظر: روح المعاني٦/١٣٦، ولسان العرب٤/٣٠٤

(٢) مجاز القرآن١/٢٧٨

(٣) جامع البيان ١٢/٢٠٧

(٤) معاني القرآن٣/٣٠٢

(٥) التفسير البسيط١١/٢٤٢

(٦) معالم التنزيل٤/١٣٩

(٧) مفاتيح الغيب١٦/١٢٩

(٨) الجامع لأحكام القرآن١١/١٥

(٩) فتح القدير٢/٤٥٦

(١٠) روح المعاني٦/١٣٦

(١١) التحرير والتنوير١١/٢١٤

(١٢) جامع البيان ١٢/٢٠٧ينظر: تذكرة الأريب١/١١٧

النتيجة:

ما ذكر من معاني في معنى الذر صحيحة في اللغة، وليس في الآية ما يخصص معنى على غيره أو يرد معنى من هذه المعاني، فاللفظة ذكرت كناية عن علم الله تعالى بكل شيء حتى أصغر الأشياء.

وبناء على ما تقدم فلا مانع من حمل معنى الذرة في الآية على كلا القولين.

والقاعدة تقول: إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.

(١) ينظر: عمدة الحفاظ، ولسان العرب، مادة(ذ ر ر)، وروح المعاني١٣٧/٦، والتحرير والتنوير٢١٤/١١

(١٦٠) قوله تعالى: ﴿ الْمُرْسِلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الِانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الِانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى ﴾ يونس: ٧٨

قوله تعالى: ﴿ الْمُرْسِلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الِانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ ﴾ معناه: لتصرفنا.

وقال قتادة: لتلفتنا لتلوينا، وقاله ثعلب من المتأخرين(١).

الدِّراسة:

لفت: بمعنى صَرف، ولَوا الشيء عن ما هو عليه(٢).

قال الراغب: لفت: يقال لفته عن كذا صرفه عنه، قال تعالى : ﴿ الْمُرْسِلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ ﴾أي: تصرفنا، ومنه التفت فلان إذا عدل عن قبله بوجهه، وامرأة لفوت تلفت من زوجها إلى ولدها من غيره، واللفيتة ما يغلظ من العصيدة(٣).

ومعنى الآية: قال فرعون وقومه أجئتنا يا موسى لأجل أن تصرفنا عن الدين الذي وجدنا عليه آباءنا ويكون لكم الملك في الأرض(٤).

---

(١) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني٢/٣٩٨

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ل ف ت)

(٣) مفردات الراغب، مادة(ل ف ت)، وينظر: مجاز القرآن١/٢٨٠، ومعاني القرآن للفراء١/٤٧٥، وغريب القرآن، لليزيدي:١٧٢، ومعاني القرآن للزجاج٣/٢٩، ومعاني القرآن للنحاس٣/٣٠٧، تحفة الأريب، وعمدة الحفاظ، مادة(ل ف ت)، وتذكرة الأريب١/٢٣٩

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٢/٢٣٩، والتفسير البسيط١١/٢٧٧، والبحر المحيط٥/١٨٢

(١٦١) قوله تعالى : ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ يونس: ٨١

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل: ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿بِسْمِ ﴾

أي: الذي جئتم به السحر.

ومن قال: (آلسحر)، قال: قالوا: هذا سحر. فقال: آلسحر هذا ؟

الدِّراسة:

في هذه الآية قراءتان:

الأولى: قراءة أبي عمرو بالمد والهمز(آلسحر) وما استفهامية، والمعنى: أي شيء جئتم به؟ آلسحر هو؟ أو أهو السحر؟

الثانية: قراءة باقي السَّبعة بهمزة وصل(السحر) وما موصولة، والمعنى: الذي جئتم به من السحر إن الله سيبطله[1].

النتيجة:

القراءات إذا تواترت واختلف إعرابها أو معناها، لم يجز ترجيح إحداهما على الأخرى، ولا تفضيل قواءة على أخرى، لأن تنوع القراءات بمنزلة تعدد الآيات.

---

(١) ينظر: السَّبعة:٢٤٦، وجامع البيان، للداني ١١٨٦/٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٥٢١/١، وشرح الهداية٣٤٢/٢، وجامع البيان٢٤٢/١٢، ولمزيد من الأوجه الإعرابية في هذه القراءات ينظر : مشكل إعراب القرآن:٣٣٤-٣٣٥، وإملاء ما من به الرحمن٣٢/٢، والبحر المحيط١٨٢/٥-١٨٣، والدرالمصون٢٤٩/٦-٢٥٤

(١٦٢) قوله تعالى: ﴿ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ ﴾ يونس: ٨٨

وقال الفرَّاء في قوله تعالى: ﴿ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ ﴾: هي لام كي. المعنى: يا ربّ أَعْطَيتهم ما أعطيتهم ليضلّوا عن سَبيلك.

وقال أبو العبَّاس أحمد بن يحيى: الاختيار أن تكون هذه اللام وما أشبهها بتأويل الخَفْض. والمعنى: آتيْتهم ما آتَيْتهم لضلالهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ ﴾ القصص: ٧ – ٨ معناه: لِكَوْنه، لأنه قد آلت الحال إلى ذلك.

قال: والعربُ تجعل لام كي في مَعنى لام الخفض، ولام الخفض في معنى لام كي لتقارُب المعَنى.

قال الله تعالى: ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ التوبة: ٩٥ المعنى: لإعراضكم عنهم، وهم لم يحلفوا لكي تُعرضوا، وإنما حلفوا لإعراضهم عنهم؛ وأَنْشد:

سَمَوْت ولم تكن أهلاً لِتَسْمُو ولكنّ المُضَيَّع قد يُصابُ [1]

(١) لم أهتد إلى قائله، وهو في جامع البيان، للطبري١٢/٢٦٣، وتهذيب اللغة١/٢٩٣

أراد: لم تكن أهلاً للسّمُوّ[1].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى لام (ليضلوا):

الأول: لام كي.

والمعنى: ربنا آتيتهم ما آتيتهم من النعمة على سبيل الاستدراج لكي يضلوا عن سبيلك.

قاله الفرَّاء[2]، وابن جرير[3]، ومكِّي[4]، وأبو حيَّان[5]، والألوسي[6].

الثاني:لام الخفض والعلة.

والمعنى: ربنا آتيتهم ما آتيتهم من النعمة لضلالهم.

وهذا قول ثعلب -رحمه الله-.

الثالث: لام الصيرورة والعاقبة.

والمعنى: ربنا آتيتهم من النعمة والخير الكثير فكانت العاقبة أن ضلوا عن سبيلك[7].

قاله الأخفش[8]، والزَّجاج[9]، والنَّحاس[10]، وابن عاشور[11].

الرابع: لام الدعاء.

والمعنى: ليثبتوا على الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع على قلوبهم.

قاله الزَّمَخشَري[12].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة٥/٢٩٣/١، ولسان العرب، مادة(لام كي)

(٢) معاني القرآن١/٤٧٧

(٣) جامع البيان ١٢/٢٦٣

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٣١٤

(٥) البحر المحيط٥/١٨٦

(٦) روح المعاني٦/١٦١

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٢/٢٦٢، والبحر المحيط٥/١٨٦، والدر المصون٦/٢٥٩

(٨) معاني القرآن٢/٣٤٧

(٩) معاني القرآن٣/٣٠

(١٠) معاني القرآن٣/٣١٠

(١١) التحرير والتنوير١١/٢٦٨

(١٢) الكشاف٢/٣٥٢

واستبعد هذا القول على قراءة ضم الياء (لِيُضِلُّوا) وهي قراء عاصم وحمزة والكسائي[1]، لأنه يبعد أن يدعي عليهم ليُضِلُّوا غيرهم.

النتيجة:

القول بالدعاء يضعف لأنه عليه السلام دعا عليهم بعد ذلك، فما فائدة تكرار الدعاء؟ ومن القواعد في ذلك التأسيس أولى من التوكيد.

وأيضاً قوله :﴿ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ ﴾ تمهيد للدعاء وبيان لسببه، فكيف يدعو عليهم بدون سبب؟

والقول بالعلة أولى من القول بالعاقبة، لأنه أقل تقدير اً منه، والأقل تقديراً يقدم على الأكثر.

بقي القول بالخفض والقول بلام كي، والراجح منه ما أنها لام الخفض وأنه تعالى آتاهم من النعم ما آتاهم واستدرجهم في ذلك بسبب ضلالهم.

أما القول بلام كي فإنه يشكل عليه أنه كيف يعطيهم من النَّعم لكي يضلوا عن سبيله؟ فقد يعترض على ذلك بأنه ظلم لهم!!.

---

(١) ينظر: النشر٢/٢٦٢، وإتحاف فضلاء البشر٢/١١٩

(١٦٣) قوله تعالى: ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ ﴾ يونس: ٩٢

قال: بدرعك، أي: نلقيك بنجوة من الأرض أي: بارتفاع[1].

الدِّراسة:

البدن: يطلق على الجسد، وعلى الدرع القصيرة على قدر الجسد[2].

والنجوة: الموضع المرتفع من الأرض[3].

الأقوال في الآية:

الأول: نلقيك على مكان مرتفع من الأرض بدرعك الذي عليك.

قاله ثعلب، والمبرِّد[4]، والقرطبي[5].

الثاني: نلقيك على مكان مرتفع من الأرض بجسدك دون روح.

قاله أبو عبيدة[1]، واليزيدي[2]، وابن جرير[3]، ومكِّي[4]، والبغوي[5].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٨١، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٩/٣٥٦، ولسان العرب١٣/٤٩

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، والمحكم والمحيط الأعظم، ولسان العرب، مادة(ب د ن)

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ن ج و)، ولسان العرب، مادة(ن ج ا)

(٤) الكامل٤/١٢٨

(٥) الجامع لأحكام القرآن١١/٤٩

الثالث: نُنْجِيك بجسدك دون روح.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما [٦]، ومجاهد [٧]، وقاله الأخفش [٨]، ... والزَّجاج[٩]، والنَّحاس[١٠]، والألوسي[١١]، وابن عاشور[١٢].

النتيجة:

الأقوال المتقدمة كلها محتملة وجائزة في اللغة، لكن الراجح منها ما كان على المشهور من كلام العرب، حيث يحمل كلام الله تعالى على المشهور دون الشاذ والقليل، وهذا ما يوافق القول الثالث، والله تعالى أعلم.

(١) مجاز القرآن١/٢٨١

(٢) غريب القرآن:١٧٢

(٣) جامع البيان١٢/٢٧٩

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٣٢٢

(٥) معالم التنزيل٤/١٤٩

(٦) ينظر: جامع البيان١٢/٢٨٣

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/١٩٨٣

(٨) معاني القرآن٢/٣٤٨

(٩) معاني القرآن٣/٣٢

(١٠) معاني القرآن٣/٣١٥

(١١) روح المعاني٦/١٧٢

(١٢) التحرير والتنوير١١/٢٧٨

(١٦٤) قوله تعالى : ﴿الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ﴾ يونس: ٩٤

سمعت الإمامين ثعلبا و المبرِّد يقولان: معنى ﴿الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ﴾ أي: قل يا محمد للكافر: فإن كنت في شك من القرآن، فاسأل من أسلم من اليهود الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، أي: يا عابد الوثن: إن كنت في شك من القرآن، فاسأل من أسلم من اليهود، يعني عبد الله بن سلام وأمثاله ، لأن عبدة الأوثان كانوا يقُوُّون لليهود أنهم أعلم منهم، من أجل أنهم أصحاب كتاب ، فدعاهم الرَّسول ﷺ إلى أن يسألوا من يُقِرُّون بأنهم أعلم منهم، هل يبعث الله رسولاً من بعد موسى عليه السلام؟[1]

الدِّراسة:

هذا القول في الجواب على مسألة من مسائل مشكل القرآن، وهو ما في الآية من إيهام وقوع الشك من النَّبي ﷺ؟

الأقوال:

الأول: الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره.

والمعنى: قل يا محمد لمن شك من الكافرين وغيرهم فيما أنزلنا، أن يسأل أهل الكتاب

(١) ياقوتة الصراط:٢٥٨، وينظر: الجامع لأحكام القرآن١١/٥٢، والبرهان في علوم القرآن٢/٢٤٢

لأنهم يقرون بأنهم على علم.

وهذا هو قول ثعلب والمبرِّد، والقرطبي[1].

الثاني: الخطاب للنبي ﷺ والمراد هو لا غير، لكن الفاء مع حروف الشرط لا تثبت الفعل ولا توجبه، والشك في الآية على سبيل الفرض والتقدير لا على حقيقة الوقوع.

والمعنى: لو كنت ممن يلحقك شك، فسألت أهل الكتاب، لأزالوا عنك الشك.

قاله الفرَّاء[2]، وابن قتيبة[3]، وابن جرير[4]،.....

والزَّمَخشَري[5]، وأبو حيَّان[6]، والألوسي[7].

الثالث: الشك بمعنى ضيق الصدر.

والمعنى: إن كان في قلبك ضيق صدر من أذى الكفار، فسأل أهل الكتاب يخبرونك صبر إخوانك من الأنبياء قبلك.

الرابع: الخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته.

والمعنى: فإن كنتم في شك مما أنزلنا، كما في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الطلاق: ١، ولم يقل: إذا طلقت، وظاهر الخطاب في الآية له ﷺ.

قاله والزَّجاج[8]، ومكِّي[9]، والواحدي[10]، والبغوي[11]، وابن عطية[12].

الخامس: أن تكون (أن) بمعنى (ما) النافية.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن١١/٥١

(٢) معاني القرآن١/٤٧٩

(٣) تأويل مشكل القرآن:٥٨، ٢٠٩

(٤) جامع البيان١٢/٢٨٨

(٥) الكشاف٢/٣٥٧

(٦) البحر المحيط٥/١٩١

(٧) روح المعاني٦/١٧٨

(٨) معاني القرآن٣/٣٢

(٩) الهداية على بلوغ النهاية٥/٣٣٢٤

(١٠) التفسيرالبسيط١١/٣١٦

(١١) معالم التنزيل٤/١٥٠

(١٢) المحرر الوجيز٣/١٤٢

والمعنى: ما كنت في شك مما أنزلنا إليك، لكن اسأل أهل الكتاب ليزداد إيمانك[1].

ولا يخفى ما في هذا القول من التكلف والبعد، وتقطيع الكلام.

النتيجة:

متى ما أمكن دفع المشكل على ظاهر الآية فهو الأولى، لأن الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل.

وهذا ما تحقق في القول الثاني ، وهو معروف في كلام العرب، والقاعدة تقول: يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب.

قال ابن جرير: قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا ، استجازة العرب قول القائل منهم لمللوكه: إن كنت مملوكي فانته إلى أمري، والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك أنه عبده، كذلك قول الرجل منهم لابنه: إن كنت ابني فبرنين وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه، وأن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم، وذكرنا ذلك بشواهد، وأن منه قول الله تعالى: ﴿ ﴾المائدة: ١١٦، وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك، وهذا من ذلك، لم يكن ﷺ شاكاً في حقيقة خبر الله وصحته ، والله تعالى بذلك مِن أمره كان عالماً، ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا، إذ كان القرآن بلسانهم نزل[2].

وقال أبو حيَّان: إنّ (إنْ) الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء ، ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا إمكانه ، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾الزخرف: ٨١، ومستحيل أن يكون له ولد، فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك، وفي المستحيل عادة كقوله تعالى :﴿ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الِانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الِانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ ﴾الأنعام: ٣٥ أي: فافعل. لكنّ وقوع (إن) للتعليق على المستحيل قليل، وهذه الآية من ذلك.

---

(١) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/٣٣

(٢) جامع البيان١٢/٢٨٨

ولما خفي هذا الوجه على أكثر النَّاس اختلفوا في تخريج هذه الآية[1].

(١) البحر المحيط٥/١٩١، وينظر: الدر المصون٦/٢٦٧-٢٦٨

سورة هود

(١٦٥) قوله تعالى :﴿لُقْمَانَ السَّجْدَةَ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ﴾ هود: ٣

﴿غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى﴾

قال : القيامة[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: يوم القيامة.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطية، وعطاء الخراساني، والسُّدِّي، والرَّبيع بن أنس[٢].

الثاني: وقت الموت.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، والحسن[٣]، وقاله ابن جرير[٤]، والبغوي[٥]، والزَّمَخشَري[٦]، وابن عطية[٧]، والقرطبي[٨]، وأبوحيَّان[٩]، والشَّوكاني [١٠]، والشنقيطي[١١].

الثالث: وقت لا يعلمه إلا الله.

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٥٩

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/١٩٩٧

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٢/٣١٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/١٩٩٧

(٤) جامع البيان ١٢/٣١٣

(٥) معالم التنزيل٤/١٦٠

(٦) الكشاف٢/٣٦٤

(٧) المحرر الوجيز٣/١٤٩

(٨) الجامع لأحكام القرآن١١/٦٨

(٩) البحر المحيط٥/٢٠١

(١٠) فتح القدير٢/٤٨١

(١١) أضواء البيان٣/٩

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[1]، ..... وقاله وقاله مكِّي[2].

النتيجة:

الراجح وقت الموت، لأن من النَّاس من ينقطع عنه المتاع الحسن قبل يوم القيامة بسبب الموت قبل هذا اليوم، فبالموت ينقطع المتاع الحسن في الدنيا عن الجميع، سواء أدرك يوم القيامة أو مات قبل يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/١٩٩٧

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٣٤٤

(١٦٦) قوله تعالى : ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ ﴾ هود: ٨

وفي التنزيل: ﴿ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ ﴾[١]

قال ثعلب: كانوا يقولون لا عذاب ولا آخرة، فحاق بهم العذاب الذي كذبوا به[٢].

الدِّراسة:

جمهور المفسِّرين على أن الذي حاق بالمكذبين هو العذاب، وهو أقرب مذكور ، والضمير يعود إلى أقرب مذكور[٣].

قال ابن جرير: ونزل بهم وأصابهم الذي كانوا به يسخرون من عذاب الله ، وكان استهزاؤهم به الذي ذكره الله قيلهم قبل نزوله: (ما يحبسه) و (هلا تأتينا به)؟[٤]

---

(١) ومثل هذه الآية: آية:٣٤ من سورة النحل، وآية:٤٨ من سورة الزمر، وآية: ٨٦ من سورة غافر، وآية ٣٣ من سورة الجاثية، وآية:٢٦ من سورة الأحقاف.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم٣/٤١٢

(٣) ينظر: جامع البيان ٣٣٩/١٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٢٠٠٧/٦، ومعاني القرآن، للنحاس٣٣٣/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٣٥٥، وفتح القدي٢/٤٨٣، والتحرير والتنوير١٢/١١

(٤) جامع البيان ٣٣٩/١٢

(١٦٧) قوله تعالى : ﴿ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ ﴾ هود: ١٧

قال ثعلب: ومعناه: إن شككتم في القرآن وفي الإنجيل فانظروا في التوراة ، فإنكم تجدونني بصفتي وبرسالتي وبصدق ما قلت . قال ثعلب: لأنه ﷺ معروف في التوراة ومعروف في الإنجيل[١].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- حول مقصود الآية وغرضها، و إلى من يرجع ضمير الجر في (يؤمنون به) ؟ والمفسِّرين في ذلك قولان:

الأول: أنه للرسول محمد ﷺ، وأن من كان على بينة وهي الحجة والبرهان القاطع ، يصدق بالنَّبي ﷺ كما دلت على وصفه الكتب السماوية.

وهذا معنى قول ثعلب، وروي عن سعيد بن جبير، وقتادة[٢]، وقال به الزَّجاج [٣]، وابن الأنباري[٤]، والقرطبي[٥].

الثاني: أنه للقرآن الكريم، ومن كان على بينة وحجة قاطعة من ربه، يعلم يقيناً أن القرآن من عند الله تعالى.

---

(١) ياقوتة الصراط:٢٦٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ٣٦٤/١٢-٣٦٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢٠١٥/٦

(٣) معاني القرآن٤٣/٣

(٤) زاد المسير٨٨/٤

(٥) الجامع لأحكام القرآن٩٠/١١

قاله ابن جرير[1]، وابن عاشور[2].

النتيجة:

الراجح أنه القرآن الكريم لدلالة سياق الآية عليه، وهي قوله :﴿ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ ﴾، فالبينة والمتلو ومن قبله التوراة هو القرآن، وقوله: ﴿ عَسَقٓ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ ﴾، لا يخفى أن المراد به القرآن، ومهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه فهو الأولى.

وكذلك سياق الآيات القبلي وهو قوله تعالى عن المشركين المكذبين للقرآن :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ ﴾ هود: ١٣، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه.

وهذا القول أيضاً فيه توحيد لعود الضمائر على القرآن وهو الأولى، لأنه إذا تعاقبت الضمائر فالأصل أن يتحد مرجعها[3].

---

(١) جامع البيان ٣٦٢/١٢

(٢) التحرير والتنوير ٢٦/١٢-٢٩

(٣) وفي هذه الآية خلاف طويل في مرجع الضمائر فيها، واسم الإشارة، والمراد بـ(البينة، والشاهد)، ومعنى (يتلو)، ينظر: جامع البيان، للطبري ٣٥٣/١٢-٣٦٥، والتفسير البسيط ٣٧٠/١١-٣٧٧، والمحرر الوجيز ١٥٧/٣-١٥٩، والجامع لأحكام القرآن ٨٧/١١-٩١، والدر المصون ٢٩٩/٦-٣٠٢

(١٦٨) قوله تعالى: ﴿ الْانفِطَارُ الْمُطَفِّفِينَ الْانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى ﴾ هود: ١٩

وقوله: ﴿ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ ﴾

قال ثعلب: تكرير (هم) على طريق التأكيد لدخول الآخرة بينهما[١].

الدِّراسة:

التكرير للضمير لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به، حتى كأن كفر غيرهم ليس بشيء بالنسبة لكفرهم، والمقام هنا مقام التعظيم لحال كفرهم فناسب تكرير الضمير[٢].

(١) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني٢/٤٢١

(٢) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/، والمحرر الوجيز٣/١٦٠، والجامع لأحكام القرآن١١/٩٢، والدر المصون٦/٣٠٢، وإرشاد العقل السليم٢/١٩٦، وروح المعاني٦/٢٣٢، وفتح القدير٢/٤٩٠، والتحرير والتنوير١٢/٣٤

(١٦٩) ﴿غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلاَقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ﴾ هود: ٢٧

بدا الشيء بلا همز: ظهر. وبالهمز ابتدأ.

ومنه: ﴿الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ﴾. من همز (بادئ) أراد ابتدأ الرأي. ومن لم يهمز أراد ظهور الرأي.

وبدا القوم إذا خرجوا إلى البادية بلا همز[1].

الدِّراسة:

قرأ أبو عمرو البصري بالهمز، وقرأ الباقون بالياء[2].

قال السَّمين الحلبي: فأما الهمز فمعناه: بادئ الرأي، أي: أول الرأي بمعنى أنه غير صادر عن روية وتأمل، بل من أول وهلة.

وأما من لم يهمز فيحتمل أن يكون أصله كما تقدم، ويحتمل أن يكون من بدا يبدو أي: ظهر، والمعنى: ظاهر الرأي دون باطنه، أي : لو تؤمل لعُرِفَ باطنه، وهو في المعنى

(١) مجالس ثعلب٢/٤١٧

(٢) ينظر: السَّبعة:٢٤٨، وجامع البيان، للداني٣/١١٩٤

كالأول[1].

(١٧٠) قوله تعالى : ﴿ طٰسٓمٓ يٰسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ ﴾ هود: ٤٣

قال أبو العبَّاس: العصمة معناها في كلام العرب: المنع، يقال قد عصمت فلاناً من فلان، إذا منعته منه . قال الله عز وجل : ﴿الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ ﴾معناه: لا مانع[2].

الدِّراسة:

أشار ثعلب –رحمه الله– إلى اختلاف العلماء في معنى(عاصم)، هل هو على معنى: مانع أو ممنوع؟ والذي دعا إلى ذلك هو الاستثناء (إلا من رحم) على تقدير الاتصال.

الأقوال:

الأول: أن المراد بـــ(من رحم) الله، و(من) في محل رفع، ولا نجعل (إلا) بمعنى (لكن).

والمعنى: لا مانع من أمر الله إلا الله تعالى.

---

(١) الدر المصون٦/٣١٠، وينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٥٢٦، وإملاء ما من به الرحمن ٢/٣٧، وحجة القراءات لا بن زنجلة:٣٣٨

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس: ٣٥٦

قاله ابن جرير[١]، والزَّمَخشَري[٢]، وابن عطية[٣].

الثاني: أن (عاصماً) بمعنى (معصوم)، وفاعل قد يجيء بمعنى مفعول، مثل قوله تعالى : ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ الحاقة: ٢١ أي: مرضية، وقوله: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ الطارق: ٦، أي: مدفوق.

والتقدير: لا معصوم من أمر الله إلا من رحمه الله فإنه يعصم.

جوزه الفرَّاء[٤]، والزَّجاج[٥].

الثالث: أن يكون (عاصم) بمعنى النسب، أي: ذا عصمة، والمراد به هنا المعصوم.

وهو معنى الذي قبله.

قاله ابن كيسان[٦]، وجوزه الزَّجاج[٧].

قال ابن كيسان: لما نفي العاصم صار بمعنى المعصوم، وصار(إلا من رحم) مستثنى من المعصومين الذين دل عليهم الفاعل لأنه جواب من قال: من يعصمني من أمر الله؟

والجواب السَّديد أن عاصماً على معنى ذي عصمة، ففاعل للنسب كلا بنٍ ورامحٍ ونابلٍ، وحينئذ فالاستثناء متصل واضح[٨].

قال الراغب: ومن قال معناه: لا معصوم، فليس يعنى أن العاصم بمعنى المعصوم، وإنما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك، وذلك أن العاصم والمعصوم يتلازمان، فأيهما حصل، حصل معه الآخر[٩].

الرابع: أنه على تقدير حذف مضاف.

---

(١) جامع البيان١٢/٤١٧

(٢) الكشاف٢/٣٨١

(٣) المحرر الوجيز٣/١٧٥

(٤) معاني القرآن٢/١٥

(٥) معاني القرآن٣/٥٤

(٦) ينظر: عمدة الحفاظ، مادة(ع ص م)

(٧) معاني القرآن٣/٥٤

(٨) ينظر: عمدة الحفاظ، مادة(ع ص م)

(٩) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(ع ص م)

والتقدير: لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد، وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم، يعنى في السفينة.

قاله الزَّمَخشَري[1].

وهو على هذه التقادير استثناء متصل كما تقدم.

الخامس: أنه استثناء منقطع، وتجعل (عاصماً) على أصله، و(إلا) على معنى لكن، و(مَنْ) في محل نصب.

والتقدير: لا عاصم اليوم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو المعصوم.

وجوزه الفرَّاء[2]، والزَّجاج[3]، وقال به أبو حيَّان[4].

قال أبو حيَّان: قيل: والجبل الذي عناه طور زيتا فلم يمنعه، والظاهر إبقاء عاصم على حقيقته، وأنه نفى كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت، وأن (مَنْ رحم) يقع فيه على المعصوم، والضمير الفاعل يعود على الله تعالى، وضمير الموصول محذوف ، ويكون الاستثناء منقطعاً، أي: لكن من رحمه الله معصوم[5].

السادس: بقاء المعنى على ظاهره، واستثناء (من رحم) من مفعول يتضمنه(عاصم) إذ العاصم يقتضي معصوماً وهو المستثنى منه.

والمعنى: لا عاصم المعصوم من أمر الله إلا المرحوم من الله.

فالمرحوم مستثنى من مفعول يتضمنه المستثنى.

قاله ابن عاشور[6].

النتيجة:

الأقوال المذكورة كلها محتملة وجائزة في العربية، لكن الأولى منها الأول لأنه المشهور من كلام العرب.

---

(١) الكشاف٢/٣٨١

(٢) معاني القرآن٢/١٥

(٣) معاني القرآن٣/٥٤

(٤) البحر المحيط٥/٢٢٧

(٥) البحر المحيط٥/٢٢٧

(٦) التحرير والتنوير١٢/٧٧

قال ابن جرير: كلام الله تعالى إنما يوجه إلى الأفصح والأشهر من كلام من نزل بلسانه ما وجد إلى ذلك سبيل، و لم يضطرنا شيء إلى أن نجعل (عاصماً) في معنى (معصوم) ولا أن نجعل (إلا) بمعنى (لكن) إذ كنا نجد لذلك في معناه الذي هو معناه في المشهور من كلام العرب مخرجاً صحيحًا، وهو ما قلنا من أن معنى ذلك قال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمنا فأنجانا من عذابه ، كما يقال: لا مرجي اليوم من عذاب الله إلا الله ، ولا مطعم اليوم من طعام زيد إلا زيد، فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم[1].

(١٧١) قوله تعالى : ﴿ ﴿ ﴾ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ ﴾ هود: ٩٢

وقال أبو العبَّاس في قوله : ﴿ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ ﴾

الها، تعود على ذكر الله عز وجل. أي: ألقيتموه وراء ظهوركم لم تعبئوا به[2].

الدِّراسة:

في مرجع الضمير أقوال:

الأول: عائد إلى الله تعالى وذكره، لأنه أقرب مذكور.

والمعنى: عظمتم قومكم فأخذتم بأمرهم وتركتم الله خلف ظهوركم فلم تعظموه و لم تأخذوا بأمره.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة[3]، وقاله أبو عبيدة[1]، وابن جرير [2]،

(١) جامع البيان١٢/٤١٨

(٢) مجالس ثعلب١/١٨١، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٤/٢٨٧، ولسان العرب٤/٥٢٢

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٢/٥٥٥-٥٥٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/٢٠٧٧

والزَّجاج[٣]، ومكِّي[٤]، والبغوي[٥]، وابن عطية[٦]، وأبو حيَّان[٧]، وابن كثير[٨].

الثاني: عائد على ما جاء به شعيب عليه السلام.

والمعنى: أخذتم ما جاء به قومكم وتركتم ما جئت به خلف ظهوركم.

روي عن مجاهد[٩].

الرتبجة:

لا تعارض بين القولين، لأن كليهما عائد إلى الله وأمره، فما جاء به شعيب عليه السلام هو من الله تعالى.

ولكن الراجح من القولين في عود الضمير أن يكون إلى أقرب مذكور وهو الله تعالى.

(١) مجاز القرآن١/٢٩٨

(٢) جامع البيان١٢/٥٥٥

(٣) معاني القرآن٣/٧٥

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٤٥٦

(٥) معالم التنزيل٤/١٩٧

(٦) المحرر الوجيز٣/٢٠٣

(٧) البحر المحيط٥/٢٥٦

(٨) تفسير القرآن العظيم٤/٣٤٧

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٢/٥٥٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/٢٠٧٧

(١٧٢) قوله تعالى: ﴿ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانفِطَارِ المُطَفِّفِينَ الانشِقَاقِ البُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الغَاشِيَةِ الفَجْرِ البَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ العَلَقِ القَدْرِ البَيِّنَةِ ﴾ هود: ١٠٨

﴿ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانفِطَارِ المُطَفِّفِينَ الانشِقَاقِ البُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الغَاشِيَةِ الفَجْرِ ﴾ .

قال: مقدار ما كانت السموات والأرض. قال: بمقدار ما كانت السموات والأرض ﴿ البَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى ﴾ أن ينقص أو يزيد. ﴿ التِّينِ العَلَقِ القَدْرِ ﴾ قال: غير مقطوع [1].

الدِّراسة:

هذه مسألة من مسائل مشكل القرآن الكريم، وهو تعليق خلود الجنَّة في الآية بدوام

(١) مجالس ثعلب١/٣٢١

السموات والأرض وهما في الحقيقة إلى زوال.

والكتاب والسنة دلاَّعلى خلود أهل الجنَّة فيها خلوداً أبدياً.

الأقوال فيها:

الأول: خالدين فيها بمقدار مدة السموات والأرض منذ خلقها الله تعالى إلى زوالها ثم يزيدهم بعد ذلك مدة الخلود الأبدي لقوله تعالى بعدها :﴿ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَىٰ ﴾أن ينقص أو يزيد[1].

وهذا معنى قول ثعلب -رحمه الله-، وبه قال الفرَّاء[2]، والنَّحاس[3].

الثاني: أن المراد بالسموات والأرض التي في الآخرة فهي دائمة للأبد بخلاف التي في الدنيا فهي إلى زوال.

قاله الزَّمَخشَري[4]، وابن كثير[5]، وابن عاشور[6].

الثالث: أن تكون هذه الجملة عبارة عن التأبيد والخلود، وهو معروف ومشهور في كلام العرب، يقولون: هذا دائم دوام السموات والأرض، أي: دائم للأبد.

قاله ابن قتيبة[7]، وابن جرير[8]، والزَّمَخشَري[9]، والبقاعي[10]،والألوسي [11]، وابن عاشور[12].

النتيجة:

---

(١) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/٧٩، والنكت والعيون٢/٥٠٥، وروح المعاني٦/٣٣٦

(٢) معاني القرآن٢/٢٨

(٣) معاني القرآن٣/٣٨١

(٤) الكشاف٢/٢٣٥

(٥) تفسير القرآن العظيم٤/٣٥١

(٦) التحرير والتنوير١٢/١٦٥

(٧) تأويل مشكل القرآن:٧٦

(٨) جامع البيان١٢/١٤٥

(٩) الكشاف٢/٢٣٥

(١٠) نظم الدرر٩/٣٨٢

(١١) روح المعاني٦/٣٣٦

(١٢) التحرير والتنوير١٢/١٦٥

يحمل كلام الله تعالى على المشهور من كلام العرب وهو ما يوافق القول الثالث، والله تعالى أعلم.

(١٧٣) وقوله تعالى : ﴿العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية﴾ هود: ١١٤

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل :﴿العنكبوت الروم لقمان السجدة﴾.

قال: بالغداة، والعشي.

وأطراف النَّهار، الغداة، والزَّوال، والمغيب.

﴿الأحزاب سبأ فاطر يس﴾

قِطعاً من الليل. الزُّلْفَة: القطعة[1].

وقال أَبو العبَّاس: قولُه: ﴿الْأَخْزَابِ سَبَإٍ قِطَعًا﴾، قال: الزُّلَف: أولُ ساعات الليل، واحدتُهَا زُلْفَة[2].

الدِّراسة:

تحدث ثعلب -رحمه الله- في هذه الآية عن المراد بالوقت الذي أمر الله عباده بإقامة الصلاة فيه، و لم يتناول المراد بالصلوات في هذه الأوقات مع أن للمفسِّر ين أقولا عديدة فيها[3].

ومعنى(طرفي النَّهار) الغداة والعشي[4].

وطرف الشيء: جانبه، ويستعمل في الأجسام والأوقات وغيرهما[5].

ومعنى(زلفاً من الليل) ساعات من الليل[6].

أي: ساعة بعد ساعة[7]، وهي أول ساعات الليل[8].

وأصل الزلفى في كلام العرب القربى، ويراد بها هنا أول ساعات الليل[9].

---

(١) مجالس ثعلب١/٤٩

(٢) تهذيب اللغة١٣/١٤٧، وينظر: روح المعاني١٢/١٥٦

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٢/٦٠١-٦١١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٦/٢٠٩١، والنكت والعيون٢/٥٠٨-٥٠٩، والتفسير البسيط١١/٥٧٨-٥٨٢، وزاد المسير٤/١٦٧-١٦٨

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٢/٦٠١، ومعاني القرآن، للزجاج٣/٨٢

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(ط ر ف)

(٦) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/٣٠، ومجاز القرآن، لأبي عبيدة١/٣٠٠، وجامع البيان، للطبري١٢/٦٠٦، وتذكرة الأريب١/٢٥٧، وعمدة الحفاظ، مادة(ز ل ف)

(٧) ينظر: غريب القرآن، لليزيدي:١٧٩، وتحفة الأريب، مادة(ز ل ف)

(٨) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/٨٢

(٩) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ز ل ف)

(١٧٤) قوله تعالى : ﴿ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ هود: ١٢٠

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ﴿ ﴾ قال: في هذه: يعني: الدنيا، وقال قوم: في هذه السورة. قال ثعلب: والعمل على الأول، لأن في كل سورة قد جاء الحق[1].

الدِّراسة:

ذكر ثعلب -رحمه الله- قولان في مرجع ضمير اسم الإشارة، وفي هذه المسألة أربعة

(١) ياقوتة الصراط:٢٧٢

أقوال:

الأول: الدنيا، والمراد بالحق النبوةّ والقرآن.

روي عن قتادة[١].

الثاني: الأنباء والقصص، والمراد بالحق صدق الأنباء والقصص.

جوزه الزَّمَخشَري[٢]، وقال به أبو حيَّان[٣].

الثالث: السوُّرة، والمراد بالحق ما فيها من قصص وأخبار ومواعظ وذكرى.

روي عن أبي موسى الأشعري، وابن عبَّاس ﷺ ، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، والرَّبيع بن أنس، والحسن البصري، وقتادة[٤]، وقاله الفرَّاء [٥]، وابن جرير [٦]، والزَّجاج[٧]، ومكِّي[٨]، والزَّمَخشَري[٩]، وابن كثير[١٠].

الرابع: الآيات، والمراد بالحق ما فيها من قصص وأخبار ومواعظ وذكرى.

جوزه الزَّجاج[١١].

النتيجة:

الأولى في عود الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يكن هناك ما هو أولى منه دل عليه سياق الكلام.

وأقرب مذكور هنا الأنباء والقصص، ويدخل مع هذا القول السورة والآيات لدلالة السياق عليه ما.

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٢/٦٤٣-٦٤٦، وتفسير القرآن العظيم٦، لابن أبي حاتم/٢٠٩٦

(٢) الكشاف٢/٤٢٢

(٣) البحر المحيط٥/٢٧٤

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٢/٦٤٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٦/٢٠٩٦

(٥) معاني القرآن٢/٣١

(٦) جامع البيان١٢/٦٤٧

(٧) معاني القرآن٣/٨٤

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٤٩١

(٩) الكشاف٢/٤٢٢

(١٠) تفسير القرآن العظيم٤/٣٦٣

(١١) معاني القرآن٣/٨٤

والمعنى: جاءك يا محمد في هذه السورة والآيات الأنباء والقصص التي كلها حق وصدق وفيها موعظة وذكرى للمؤمنين.

أما الاعتراض بأن سور القرآن وآياته كلها حق فلم خصص هنا؟

فالجواب: قد ذكر العلماء لذلك أربعة أجوبة:

الأول: البيان، فهذه السورة جمعت من البيان في مصير إهلاك الأمم ما لم يجمع غيرها.

قاله ابن عطية[1].

الثاني: الحق فيها أجلى من غيرها، مع أن جميع سور القرآن وآياته حق.

قاله الزَّجاج[2].

الثالث: لبيان فضل هذه السورة، وإن كان غيرها على حق.

قاله ابن الأنباري[3]، والبغوي[4].

الرابع: أن وصف هذه السورة أو الآيات بالحق لا يلزم نفيه عن غيرها، فكان المعنى هذه السورة أو الآيات على حق وسائر سور وآيات القرآن.

قاله ابن جرير[5]، .....

والنَّحاس[6]، ومكِّي[7].

---

(١) المحرر الوجيز٢/٢١٦

(٢) معاني القرآن٣/٨٥

(٣) ينظر: التفسير البسيط١١/ ٥٩٣، وزاد المسير٤/١٧٤

(٤) معالم التنزيل٤/٢٠٧

(٥) جامع البيان١٢/٦٤٧

(٦) معاني القرآن٣/٣٩١

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٤٩١

سورة يوسف

(١٧٥) قوله تعالى : ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام ﴾ يوسف: ١٨

وقال أبو العبَّاس هذا مصدر في معنى مفعول أراد بدم مكذوب[١].

الدِّراسة:

قال الفرَّاء: معناه مكذوب، والعرب تقول للكذب مكذوب، وللضعف مضعوف، وليس له عقد رأي ومعقود رأي، فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولاً[٢].

وقال الزَّجاج: أي: ذي كذب، والمعنى: دم مكذوب فيه[٣].

وصف الدم بالكذب وإن كان الكذب صادراً من غيره على سبيل المبالغة، فهو مصدر على معنى مفعول أي: مكذوب، أو على معنى حذف مضاف أي: ذي كذب[٤].

---

(١) تهذيب اللغة١٠/٩٧، وينظر: لسان العرب١/٧٠٨

(٢) معاني القرآن٢/٣٨

(٣) معاني القرآن٣/٩٦، وينظر: معاني القرآن، للنحاس٣/٤٠٤

(٤) ينظر: زاد المسير٤/١٩٢-١٩٣، والبحر المحيط٥/٢٨٩

(١٧٦) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ يوسف: ٢٤

وسئل ثعلب عن قوله عز وجل ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾. قال: همَّت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك ، وهمَّ يوسف عليه السلام بالمعصية، ولم يأتها ولم يصر عليها، فبين الهمتين فرق[(١)].

الدِّراسة:

أقوال المفسِّرين في همِّ يوسف عليه السلام :

الأول:همت زليخاء بالمعصية مصرة، وهمَّ يوسف عليه السلام غير مصرٍ، ولذلك لم يفعل شيء، وهذا يعد حديث نفسٍ لا يؤخذ عليه.

وهذا ما قاله ثعلب -رحمه الله-، واختاره ابن الجوزي[(٢)].

الثاني: همَّ يوسف عليه السلام بالمعصية، وجلس منها مجلس الرجل من امرأته، لكنه لم يقع في الفاحشة.

وهو قول عامة المفسِّرين[(٣)].

الثالث: وقيل في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: لقد همَّت به زليخاء، ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها، فلم يَهِمَّ بها لأنه رأى برهان ربه، فلم يكن من يوسف عليه السلام همٌّ.

قاله أبوعبيدة [(٤)].

الرابع: ليس في الآية تقديم ولا تأخير، ولكن جواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، كما تقول: أنت ظالم إن فعلت، وتقديره: إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله أنت ظالم

---

(١) تهذيب اللغة ٢٤٨/٥، وينظر : التفسير البسيط ٧٤/١٢، والجامع لأحكام القرآن ٣١١/١١، ولسان العرب٦٢٠/١٢

(٢) زاد المسير٢٠٤/٤

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٨٢/١٣-٨٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٢١٢٢/٧-٢١٢٣، ومعاني القرآن، للزجاج ١٠١/٣، ومعاني القرآن، للنحاس ٤١١/٣، والتفسير البسيط ٧٢/١٢-٧٧، ومعالم التنزيل٢٣٠/٤، وزاد المسير٢٠٣/٤، والجامع لأحكام القرآن٣١١/١١-٣١٦

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن٣١١/١١

على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل، وكذلك هنا، والتقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، فكان موجد الهمَّ على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهمَّ.

قاله أبو حيَّان[1].

الخامس: همَّ يوسف عليه السلام بضربها[2].

السادس: تمنَّى يوسف عليه السلام الزواج منها[3].

النتيجة:

الراجح أن يوسف عليه السلام وقع منه همٌّ، وهذا ما يدل عليه ظاهر الآية، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل.

وهذا يرد على قول من قال أنه ليس هناك همٌّ.

بقي أن يقال: ما الهمُّ الذي همَّ به يوسف عليه السلام؟

أولى الأقوال في ذلك أنه همَّ بضربها، لأن ذلك فيه تعظيم لمقام النبوة، ومن القواعد : القول الذي يعظم مقام النبوة، ولا ينسب إليها ما لا يليق بها، أولى بتفسير الآية.

أما الأول والثاني فليس فيهما تعظيم لمقام النبوة، والقول السادس مستحيل وفيه بُعْدٌ وتكلف، فكيف يتمنى يوسف عليه السلام الزواج من زوجة الملك؟

---

(١) البحر المحيط٥/٢٩٥

(٢) ينظر: معاني القرآن، للنحاس٣/٤١٥، وزاد المسير٤/٢٠٦، والجامع لأحكام القرآن١١/٣١١

(٣) الجامع لأحكام القرآن١١/٣١١

(١٧٧) قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ ﴾ يوسف: ٣١

وقال أبو العبَّاس: في قوله عز وجل:﴿ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ ﴾ قال: أعظمنَّ. أي: كَبُرَ في أَعيُنِهنَّ(١).

الدِّراسة:

في المسألة قولان:

الأول: أعظمنَّه، لما رأوا من جماله وحسن بهائه.

وهذا قول جمهور المفسِّرين(٢).

الثاني: حِضْنَ.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما(٣)، واختاره ابن الأنباري(٤).

النتيجة:

الراجح من القولين ما ذهب إليه جمهور المفسِّرين، وهو الموافق للمعنى اللغوي، وليس من معاني (أكبرن) في اللغة (حِضْنَ)، وكيف يعود ضمير(أكبرنه) بمعنى (حِضْنَ) على يوسف عليه السلام؟! هذا من المحال(٥).

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٥٣

(٢) ينظر: مجاز القرآن١/٣٠٩، وجامع البيان، للطبري ١٣/١٣٠-١٣٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢١٣٥، ومعاني القرآن، للزجاج٣/١٠٦، ومعاني القرآن، للنحاس٣/٤٢٢، والتفسير البسيط١٢/٩٨، والمحرر الوجيز٣/٢٣٩، وزاد المسير٤/٣١٨

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/١٣١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢١٣٥

(٤) ينظر: التفسير البسيط١٢/١٠٠، وزاد المسير٤/٣١٨

(٥) ينظر: مجاز القرآن١/٣٠٩، وجامع البيان، للطبري١٣/١٣٢، ومعاني القرآن، للزجاج٣/١٠٦، ومعاني القرآن، للنحاس٣/٤٢٢، والمحرر الوجيز٣/٢٣٩

وقد ذكر الأزهري[1] وجهاً في معنى (أكبرن) بـــ(حِضْن)، وقال عن الهاء، هاء وقف لا هاء الكناية.

وقال ابن الأنباري[2]: هاء كناية عن مصدر الفعل، المعنى : أكبرن إكباراً، أي: حضن حيضاً.

إلا أنه يبقى قول جمهور المفسِّرين والموافق للمشهور من كلام العرب أولى من غيره.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، مادة(ك ب ر)، والتفسير البسيط١٢/٩٩

(٢) ينظر: التفسير البسيط١٢/١٠٠، والجامع لأحكام القرآن١١/٣٣٣

(١٧٨) قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ يوسف: ٣٥

قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

أي: ظهر لهم من الرأي[١].

الدِّراسة:

فاعل(بدا) فيه أربعة أوجه[٢]:

الأول: أنه ضمير يعود على السِّجن المفهوم من قوله (لَيَسْجُنُنَّه)، أو قراءة الجمهور(السِّجن)، وهو بطريق اللازم، أو قراءة (السَّجن) بفتح السين[٣]، والمعنى: بدا لهم حبسه.

قاله أبوحيَّان[٤]، واختاره السَّمين الحلبي[٥].

الثاني: أن الفاعل ضمير المصدر المفهوم من الفعل (بدا) أي: بدا لهم بداء.

قاله المبرِّد[٦].

الثالث: أن الفاعل مضمر يدل عليه السياق، أي: بدا لهم من الرأي.

الرابع: أن الفاعل نفس الجملة من (لَيَسْجُنُنَّه)، أي: بدا لهم لَيَسْجُنُنَّه.

قاله سيبويه[٧].

وضعف ذلك المبرِّد، والعُكبري، وقالا: الجُمل لا تكون فاعلاً[٨].

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى:٣٤

(٢) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس٢/٣٢٩، وإملاء ما من به الرحمن٢/٥٣، والدر المصون٦/٤٩٤

(٣) قرأ يعقوب بالفتح، وباقي العشرة بالكسر، ينظر: النشر٢/٢٩٥، وإتحاف فضلاء البيشر٢/١٤٦

(٤) البحر المحيط٥/٣٠٧

(٥) الدر المصون٦/٤٩٤

(٦) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس٢/٣٢٩، والبيان في إعراب غريب القرآن٢/٣٣

(٧) الكتاب١/٤٥٦

(٨) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس٢/٣٢٩، وإملاء ما من به الرحمن٢/٥٣

النتيجة:

كل الأوجه محتملة وجائزة ومتقاربة المعنى ما عدا القول الرابع، فَيُشْكِل عليه أن الجُمل لا تكون فاعلاً.

والفاعل لبدا ضمير يفسرِّه ما يدل عليه المعنى، أي: بدا لهم أي رأي بدا وهو السِّجن.

(١٧٩) قوله تعالى: ﴿الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ﴾ يوسف: ٤٣

وقال أبو العبَّاس أحمد بن يحيى في قول الله جلّ ذكره : ﴿النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ﴾: دخلت اللام في قوله : ﴿عَبَسَ التَّكْوِيرِ﴾: لأنه أراد: إن كنتم للرؤيا عابرين، وإن كنتم عابرين الرؤيا، وتسمَّى هذه اللام لام التعقيب لأنها عقبَت الإضافة[1].

الدِّراسة:

وتسمى هذه اللام لام التوكيد والتقوية، ودخلت تقوية للفعل العامل لما تقدم معموله عليه.

قال الزَّجاج: هذه اللام أدخلت على المفعول لتبين المعنى: إن كنتم تعبرون، وعابرين، ثم بين باللام فقال: للرؤيا[2].

وقال ابن عطية:دخلت اللام لمعنى التأكيد والربط، وذلك أن المفعول إذا تقدم حسن في بعض الأفعال أن تدخل عليه اللام، وإذا تأخر لم يحتج الفعل إلى ذلك[3].

---

(١) تهذيب الغة٢/٢٩٢

(٢) معاني القران٣/١١٢

(٣) المحرر الوجيز٣/٢٤٨، وينظر: الكشاف٢/٤٥٥، والدر المصون٦/٥٠٥

(١٨٠) قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾ يوسف: ٨٨

وقال ثعلب: بضاعة مزجاة فيها إغماض لم يتم صلاحها[١].

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل:﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ﴾

قال : كانت بضاعتهم مزجاة فقالوا له: خذ منا وأوف لنا الكيل[٢].

﴿ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾

تساهل علينا[٣].

الدِّراسة:

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى: الأقوال في البضاعة المزجاة:

الأول: الناقصة، أي: ناقصة القيمة.

روي عن سعيد بن جبير[٤].

الثاني: الرديئة، أي: رديئة في جودتها أو لم يتم صلاحها.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، وعكرمة[٥].

الثالث: الكاسدة، أي: ليس لها طالب.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٥٢٤/٧، وينظر : مجالس ثعلب ٨٦/١، والجامع لأحكام القرآن ٤٣٨/١١ولسان العرب٢٦٢/١٢

(٢) مجالس ثعلب٢٢٧/١

(٣) مجالس ثعلب٨٦/١

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٣١٩/١٣-٣٢٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢١٩٢/٧

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٣١٧/١٣-٣٢٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢١٩١/٧

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والضَّحاك[1].

الرابع:القليلة، أي: ناقصة العدد أو الكيل.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وإبراهيم النَّخعي، والحسن البصري، ومجاهد، وقتادة[2]، وقاله أبو عبيدة[3]، والزَّجاج[4]، ومكِّي[5].

الخامس: بضاعةً لا تناسب المقابل لها، لأنها تُجَوَّزُ تجويزاً على دفع من آخذيها.

وأصل الإزجاء في اللغة السوَّق بالدَّفع[6].

وهذا القول يشمل جميع الأقوال السابقة، بضاعة قليلة ناقصة رديئة كاسدة، لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجوِّز من البائع فيها.

قاله ابن جرير[7]، والنَّحاس[8]، والبغوي[9]، والزَّمَخشَري[10]، وابن عطية[11].

وقال النَّحاس: وهذه الأقوال مقاربة، وأصله من التَّوَّجية، وهي الدَّفعُ والسوَّقُ، يقال: فلان يُزجي العيشَ، أي: يدفع، والمعنى: أنها بضاعةٌ تُدفع، ولا يقبلها كل أحدٍ[12].

المسألة الثانية: الأقوال في المراد بقولهم(وتصدق علينا):

الأول: تساهل علينا، وتسامح عنَّا، بالتفضل علينا فيما ببين الردي ء والجيد، واقبل بضاعتنا.

روي عن السُّدِّي، وسعيد بن جبير[13]، وقاله الفرَّاء[1]، وابن جرير [2]، ومكِّي [3]،

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣٢٢،٣١٨،

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣١٩-٣٢٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢١٩٢

(٣) مجاز القرآن١/٣١٧

(٤) معاني القران٣/١٢٧

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٦٢٥

(٦) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ز ج ا)

(٧) جامع البيان١٣/٣١٦

(٨) معاني القران٣/٤٥٥

(٩) معالم التنزيل٤/٢٧١

(١٠) الكشاف٢/٤٨٠

(١١) المحرر الوجيز٣/٢٧٥

(١٢) معاني القران٣/٤٥٥

(١٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣٢٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢١٩٣

والبغوي[٤] والزَّمَخشَري[٥]، وابن عطية[٦].

الثاني: رُدَّ أخانا معنا.

روي عن ابن جريج[٧].

النتيجة:

إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها، ولفظ(مزجاة) يحتمل ما ذكره السَّلف في معناه، وليس هناك دليل على تخصيص قول دون غيره، فالراجح أن الأقوال متقاربة، والله أعلم.

وأما المراد بقولهم(تصدق علينا) فالأولى أن يكون على معنى تساهل وتفضل علينا بين الجيد والرديء.

قال ابن جرير: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن جريج وإن كان قولاً له وجه، فليس بالقول المختار في تأويل قوله: ﴿ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ﴾، لأن الصدقة في المتعارف إنما هي إعطاء الرجل ذي الحاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه، وإن كان كل معروف صدقة ، فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه في كلام من نزل القر آن بلسانه أولى وأحرى[٨].

---

(١) معاني ا لقرآن٢/٥٥

(٢) جامع البيان١٣/٣٢٤

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٦٢٧

(٤) معالم التنزيل٤/٢٧٢

(٥) الكشاف٢/٤٨٠

(٦) المحرر الوجيز٣/٢٧٦

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣٢٦

(٨) جامع البيان١٣/٣٢٤

(١٨١) قوله تعالى : ﴿ سَبَإٍ فَاطِرِ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ ﴾ يوسف: ٩٢

﴿ فَاطِرِ يسٓ الصَّافَّاتِ ﴾

أي : لا تذكر ذُنُوبكم. يقال: ثَرَّبَ عليه إذ ذكر ذنوبه[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: لا أذكر عيوبكم.

روي عن قتادة، والسُّدِّي[٢].

الثاني: لا تعيير عليكم.

روي عن عبد الله بن الزبير[٣].

الثالث: لا تأنيب عليكم.

روي عن محمد بن إسحاق[٤]، والزَّمَخشَري[٥].

الرابع: لا تعيير عليكم ولا أذكر عيوبكم.

قاله والبغوي[٦].

الخامس: لا إفساد عليكم، ولا شغب ولا تعيير لكم.

قاله اليزيدي [١]، وابن ج رير [٢]، والزَّجاج [٣]، .....

(١) مجالس ثعلب ١/١٩٥، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم ١٠/١٤٢، وتفسير القرآن، للسمعاني ٣/٦٢، وزاد المسير٤/٢٨٢، ولسان العرب١/٢٣٥، ١٤/١١٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣٣٠-٣٣١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢١٩٥

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣٣٠

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣٣١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢١٩٥

(٥) الكشاف٢/٤٨٣

(٦) معالم التنزيل٤/٢٧٤

والنَّحاس[٤]، ومكِّي[٥]، وابن عطية[٦]، وأبوحيَّان[٧].

السادس: لا تخليط ولا شغب ولا إفساد ولا معاقبة.

قاله أبو عبيدة[٨].

النتيجة:

أصل التثريب: التأنيب والتعيير والاستقصاء في اللوم. والثارب: الموبخ يقال : ثَرِب، وثَّب، وأثرَب، إذا وبخ. والتثريب: الإفساد والتخليط[٩].

وأقوال المفسِّرين متقاربة ولا تعارض بينها، ولا مانع من حمل الآية عليها.

---

(١) غريب القرآن:١٨٧

(٢) جامع البيان١٣/٣٣٠

(٣) معاني القران٣/١٢٨

(٤) معاني القران٣/٤٥٦

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٦٢٩

(٦) المحرر الوجيز٣/٢٧٨

(٧) البحر المحيط٥/٣٤٣

(٨) مجاز القرآن١/٣١٨

(٩) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، ما دةث ر ب)

(١٨٢) قوله تعالى : ﴿الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ﴾ يوسف: ٩٤

﴿نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ﴾

أي : **نَضْعُفُونِ**[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: تسفهوني.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، وابن زيد [٢]، و قاله اليزيدي[٣]، والنَّحاس[٤]، ومكِّي[٥].

الثاني: تضعفوني.

روي عن ابن إسحاق[٦].

الثالث: تكذبون.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والسُّدِّي، والضَّحاك، وعطاء[٧].

الرابع: تهرموني.

روي عن مجاهد، والحسن[٨].

---

(١) مجالس ثعلب١/١٢٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣٣٦-٣٣٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢١٩٨

(٣) غريب القرآن:١٨٧

(٤) معاني القران٣/٤٥٧

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٦٣١

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣٣٩

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣٣٩-٣٤٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢١٩٨

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٣٤٠-٣٤١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢١٩٨

الخامس: تجهلوني.

قاله الزَّجاج[1].

السادس: جميع ما ذكر.

قاله الفرَّاء[2]، وابن جرير[3].

النتيجة:

الفَنْد: الخطأ في الرأي والقول، والفند: الخرف وإنكار العقل من الهرم أو المرض . والتفنِيد: اللوم وتضعيف الرأي[4].

وعلى هذا، فالقول الراجح هو جميع ما ذكر من أقوال في الآية.

قال ابن جرير: فقد تبين إذ كان الأمر على ما وصفنا، أن الأقوال التي قالها من ذكرنا قوله في قوله: ﴿ نُوحٌ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ ﴾ على اختلاف عباراتهم عن تأويله متقاربةُ المعا ني، محتملٌ جميعها ظاهر التنزيل، إذ لم يكن في الآية دليلٌ على أنه معنيٌّ به بعض ذلك دون بعض[5].

---

(١) معاني القران٣/١٢٨

(٢) معاني القرآن٢/٥٥

(٣) جامع البيان١٣/٣٤١

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، ما دة (ف ن د)

(٥) جامع البيان١٣/٣٤١

(١٨٣) قوله تعالى :﴿ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ ﴾

يوسف: ١٠٠

وقال آخرون: الهاء تعود على يوسف، ومعنى السجود التحية كأنه قال : وخروا ليوسف سجداً سجود تحية، لا سجود عبادة. قال أبوبكر: سمعت أبا العبَّاس يؤيد هذا القول ويختاره[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: الضمير عائد على الله تعالى. أي: سجدوا لله تعالى سجود شكر.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والحسن[٢]، وقاله الرازي[٣].

الثاني: الضمير عائد على يوسف عليه السلام، والسجود سجود تحية لا سجود عبادة.

وهذا قول جمهور المفسِّرين[٤].

قال ابن عطية: وأجمع المفسِّرون أن ذلك السجود على أي هيئة كان، فإنما كان تحية لا

---

(١) الزاهر في معاني كلمات النَّاس:٤١

(٢) ينظر: النكت والعيون٣/٨٢، والتفسير البسيط١٢/٢٤٩، والمحرر الوجيز٣/٢٨١، وزاد المسير٤/٢٩٠، والجامع لأحكام القرآن١١/٤٥٥، والبحر المحيط٥/٣٤٨

(٣) مفاتيح الغيب١٨/٢١٦

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٣/٣٥٤-٣٥٦، وتفسير ا لقرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢٢٠٢، و النكت والعيون٣/٨٢، والتفسير البسيط١٢/٢٥٠، وزاد المسير٤/٢٩٠

عبادة[1].

النتيجة:

الراجح قول جمهور المفسِّرين، وهو ما وافق ظاهر الآية، وأرجع الضمير إلى أق رب مذكور، وأيده قوله تعالى :﴿ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ ﴾ يوسف: ٤

وهذا السجود جائزٌ في شرع من قبلنا.

(١) المحرر الوجيز٣/٢٨١

(١٨٤) قوله تعالى :﴿ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ ﴾ يوسف: ١١٠

حتى إذا استيئس الرسل من قومهم أن يؤمنوا، وظن القوم أن الرسل قد كُذِّبوا أتاهم النصر.

ومن قال(كُذِبُوا) يقول: كَذبَنا الرسل فيما قالوا لنا[1].

الدِّراسة:

قرأ عاصم وحمزة والكسائي(كُذِبوا) ولها أربعة أوجه في التفسير:

الأول: حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم، وظن القوم أن الرسل كذبوهم في إتيان العذاب، جاء الرسل النصر من عند الله. والظن هنا بمعنى الشك أو اليقين.

الثاني: حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم، وظن القوم أن الرسل كذبوهم في ما جاءوا به من الدين، جاء الرسل النصر من عند الله. والظن هنا بمعنى الشك أو اليقين.

الثالث: حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم، وأيقن الرسل أن قومهم كذبوا بهم، جاءهم النصر من عند الله.

الرابع: حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم، وشك الرسل في إيمان من آمن من قومهم بسبب ما تعرضوا إليه من البلاء والفتن، جاءهم النصر من عند الله.

وقرأ باقي السَّبعة بالتشديد(كُذِّبُوا) ولها وجهان في التفسير:

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٨٢

الأول: حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم، وأيقن الرسل أن قومهم كذبوا بهم، جاءهم النصر من عند الله.

الثاني: حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم، وشك الرسل في إيمان من آمن من قومهم بسبب ما تعرضوا إليه من البلاء والفتن، جاءهم النصر من عند الله[1].

القراءتان سبعيَّتان متواترتان، وكل ما جاء في توجيه معناهما محتمل وصحي ح، والله أعلم.

(١) ينظر: السَّبعة:٢٦٢، وجامع البيان، للداني٣/١٢٣٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع٢/١٥-١٦، وحجة القراءات، لابن زنجلة:٣٦٦-٣٦٧، والبحر المحيط٥/٣٥٤-٣٥٥، والدر المصون٦/٥٦٣-٥٦٦

سورة الرعد

(١٨٥) قوله تعالى : ﴿ المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة يُونُس هُود يُوسُف الرَّعْد إِبْرَاهِيم الحِجْر النَّحْل الإِسْرَاء الكَهْف مَرْيَم ﴾ الرعد: ١٠

وقال أبو العبَّاس: المستخفي: المستتر. قال: السرَّب: الظاهر، المعنى: الظاهر والخفي عنده واحد[١].

الدِّراسة:

الأقوال في (مستخف) و(سارب):

الأول: مستخف: مستتر في الليل، وسارب: ظاهر بالنَّهار في سربه، أي: طريقه.

قال الأزهري: والعرب تقول: سرَبت الإبل تسرَبُ، وسرَب الفحل سرُوباً، أي: مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت[٢].

وهذا قول جمهور المفسِّرين[٣].

الثاني: مستخف: ظاهر، وسارب:متواري.

قاله الأخفش[٤].

قال الواحدي: وهو صحيح في اللغة، غير أن الأول هو الاختيار[٥].

النتيجة:

الراجح الأول لأنه المشهور من كلام العرب وعليه يحمل كلام الله تعالى، وهو قول جمهور المفسِّرين من السَّلف والخلف، والليل يدل على الاستتار، و النَّهار يدل على الظهور، والله أعلم.

---

(١) تهذيب اللغة١٢/٢٨٧، وينظر: التفسير البسيط١٢/٣٠٥، ولسان العرب١/٤٦٢

(٢) تهذيب اللغة، مادة(س ر ب)، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(س ر ب)

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٣/٤٥٣-٤٥٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢٢٢٩، والتفسير البسيط١٢/٣٠٤-٣٠٦، وزاد المسير٤/٣٠٩-٣١٠

(٤) معاني القرآن٢/٣٧٠

(٥) التفسير البسيط١٢/٣٠٧

(١٨٦) قوله تعالى: ﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ ﴾ الرعد: ٣١

﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾

قال ثعلب: هذا محذوف الجواب، والمعنى: لكان هذا القرآن[١].

الدِّراسة:

حُذف جواب(لو)، وللعلماء في تقديره أقوال:

الأول: تقديره: لكان هذا القرآن.

قاله أبو عبيدة[٢]، وثعلب، والمبرِّد[٣]، وابن جرير[٤]، والزَّمَخشَري[٥]، وابن عطية [٦]، وأبو حيَّان[٧]، والسَّمين الحلبي[٨]، وبه فسَّر الآية قتادة، والضَّحاك، وابن زيد[٩]،وهو قول أكثر أهل العلم[١٠].

الثاني: تقديره: لما آمنوا بالقرآن.

قاله الزَّجاج [١١]، . . . . . .

---

(١) ياقوتة الصراط:٢٨١، وينظر: البرهان في علوم القرآن٣/ ٢١٨

(٢) مجاز القرآن١/٣٣١

(٣) ما اتفق لفظه واختلف معناه:٤٨، وينظر: ياقوتة الصراط٢٨١-٢٨٢

(٤) جامع البيان١٣/٥٣٨

(٥) الكشاف٢/٥٠٩

(٦) المحرر الوجيز٣/٣١٣

(٧) البحر المحيط٥/٣٩١

(٨) الدر المصون٧/٥٠

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٥٣٤-٥٣٥

(١٠) ينظر: معاني القرآن، للنحاس٣/٤٩٦، و التفسير البسيط١٢/٣٥١

(١١) معاني القرآن٣/١٤٨

والزَّركشي[1]، وبه فسَّر الآية ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد[2].

الثالث: جواب (لو) مقدم، معناه: هم يكفرون بالرحمن لو أن قرآنا سيرت به الجبال. قاله الفرَّاء[3].

قال ابن الأنباري: هذا ضعيف، لأنه ليس يكثر في كلامهم: زرتك لو زرتني، وقصدتك لو قصدتني[4].

النتيجة:

حذف الجواب يقع في مواقع التفخيم والتعظيم، ويجوز حذفه لعلم المخاطب به، وإنما يحذف لقصد المبالغة، لأن السامع مع أقصى تخيله، يذهب منه الذهن كل مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به[5].

والراجح القول الثاني، لأن الآية ما سيقت لتفضيل القرآن، ولكن في معرض ذم الكفار المكذبين بالرحمن، بدليل قو له تعالى: ﴿ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ الرعد : ٣٠ وبعدها : ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ ﴾ الرعد: ٣١ فلو قدر الخبر لما آمنوا به لكان أشد[6].

والغالب في القرآن وكلام العرب أن الجوا ب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّحٌ على غيره.

ويؤيده من القرآن قوله تعالى :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ ﴾ الأنعام: ١١١

---

(١) البرهان في علوم القرآن٣/٢١٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٥٣٢

(٣) معاني القرآن٢/٦٣

(٤) ينظر: التفسير البسيط١٢/٣٥١، وزاد المسير/٣٣١

(٥) البرهان في علوم القرآن٣/٢١٨

(٦) البرهان في علوم القرآن٣/٢١٨(بتصرف)

(١٨٧) قوله تعالى: ﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿
﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمۡرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنۡعَامِ الأَعۡرَافِ الأَنفَالِ التَّوۡبَةِ
يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعۡدِ إِبۡرَاهِيمَ الحِجۡرِ النَّحۡلِ الإِسۡرَاءِ الكَهۡفِ مَرۡيَمَ طه
الأَنبِيَاءِ الحَجِّ المُؤۡمِنُونَ النُّورِ الفُرۡقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمۡلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ
لُقۡمَانَ السَّجۡدَةِ الأَحۡزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ ﴾ الرعد: ٣١

وقال أبو العبَّاس في قوله تعالى: ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمۡرَانَ ﴾

قال: يعلموا[١].

الدِّراسة:

الأقوال:

الأول: يَئِس بمعنى علم، وهي في لغة هوازن[٢]، وحيٍ مِنْ النَّخَع[٣] [٤].

والمعنى: أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى النَّاس جميعاً.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد[٥]، وقاله أبو أبو عبيدة[٦]، وقطرب[٧]، وابن جرير[٨]، ومكِّي[١].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٣٢٢

(٢) هوازن: من أكبر القبائل العربية، من العدنانية، فيها عَدَّة بطون منهم بنو سعد بن بكر بن هوازن، وبنو منبه بن بكر، وبنو نصر بن معاوية بن بكر وغيرهم، ومنازلهم في الجنوب العربي من نجد والحجاز . ينظر: نهاية الأرب:٣٩١، وهوازن وبنو سعد-دراسة تاريخية اجتماعية-:١٣-٣٦.

(٣) النخع: قبيلة تنسب إلى جَسْرْ بن عمرو بن عِلَّة بن جَلد بن مالك بن أدد ، سمي النَّخع لأنه ذهب عن قومه ، نزلت الكوفة، منها المحدث والفقيه إبراهيم النَّخعي، ينظر: الأنساب:٢/٦٠، ٥/٤٧٣، ولسان العرب، مادة(ن خ ع).

(٤) ينظر: لغات القبائل:١٥٠، وجامع البيان، للطبري١٣/٥٣٦، والتفسير البسيط١٢/٣٥٣

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٥٣٦، والتفسير البسيط١٢/٣٥٣

(٦) مجاز القرآن١/٣٣٢

(٧) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ي ئ س)

(٨) جامع البيان١٣/٥٣٩

الثاني: يأس على معنى: يأس لعلمه، فاليأس هنا من لوازمه العلم، والمعنى: أفلم يعلموا علماً ييأسوا معه من أن يكون غير ما علموه، وهو أن الله لو شاء لهداهم من غير ظهور هذه الآيات.

قاله الكسائي[٢]، والفرَّاء[٣].

الثالث: اليأس على المشهور وفي الآية حذف ، تقديره: أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الكفار، لأن الله لو شاء لهدى النَّاس جميعاً.

قاله الزَّجاج[٤]، والزَّمَخشَري[٥]، وأبو حيَّان[٦].

النتيجة:

لا يخفى ما في القول الثاني والثالث من الحذف والتقدير والتكلف في الوصول إلى المعنى المستقيم في الآية، والقول الأول قد تحقق فيه المعنى المستقيم بدون ذلك، وهو موافق لكلام العرب، ولذا فهو الراجح وهو ما فسَّر به أكثر السَّلف الآية، والله أعلم.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية٥/٣٧٤١

(٢) ينظر: معاني القرآن،للنحاس٣/٤٩٨، والتفسير البسيط١٢/٣٥٤، والبحر المحيط٥/٣٩٢

(٣) معاني القرآن٢/٦٣

(٤) معاني القرآن٣/١٤٩

(٥) الكشاف٢/٥١٠

(٦) البحر المحيط٥/٣٩٢

سورة إبراهيم

(١٨٨) قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى:** ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ إبراهيم: ١١

قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ﴾

قال ثعلب: والمنَّ من الله عز وجل محمود، لأنه تفضل منه، والمنَّ من العباد مذموم، لأنهم يعَدون نعمهم على الإنسان، ومنه قوله جل وعز : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ الحجرات: ١٧

قال ثعلب: فأجمع أهل اللغة كلهم على أن المنَّ من الله محمود، لأنه تفضل، وأن المنَّ من العباد مذموم، لأنهم يعدون نعمهم، ولأن المنَّ من العباد مذموم، وأنه من الله جل وعز نعمة وتفضل، ومن الآدميين تقريع وتوبيخ أو مَنٌّ(١).

الدِّراسة:

المنَّان من أسماء الله تعالى الحسنى، وهذا الاسم يحتمل معنيين في اللغة من النقص والكمال، كما أشار إلى ذلك ثعلب – رحمه الله–، واسم الله تعالى وصفته المشتقة من ذلك الاسم وفعله يحمل على المعنى الذي يدل على الكمال، فلا ينفى ما أثبته الله ورسولهﷺ ، ولا يحرف، ولا يشبه، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات(٢).

والمِنَّةُ هي النعمة الثقيلة، ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل فيقال من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة ، وعلى ذلك قوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ ﴾، وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى .

والثاني : أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين النَّاس إلا عند كفران النعمة، ولقبح ذلك، قيل: المنة تهدم الصنيعة وتوجب القطيعة، ويحسن ذكرها عند الكفران ، وقيل:

---

(١) ياقوتة الصراط:٢٨٥

(٢) يرظر: التدمرية:٢١، وشرح العقيدة الطحاوية١/٥٧

إذا كفرت النعمة حسنت المنة . وقوله: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾، فالمنة منهم بالقول، ومِنةُ الله عليهم بالفعل وهو هدايته إياهم للإيمان(١).

قال ابن جرير في تفسير الآية: ولكن الله يتفضل على من يشاء من خلقه، فيهديه ويوفقه للحق، ويفضله على كثير من خلقه(٢).

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفظ، مادة(م ن ن)

(٢) جامع البيان١٣/٦١٠

(١٨٩) قوله تعالى: ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ ﴾ إبراهيم: ٢٢

﴿ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ ﴾

قال : بمعينكم [١].

الدِّراسة:

في قول جميع المفسِّرين بمعنى المغيث والمعين[٢].

قال ابن منظور : الصارخ والصريخ: المستغيث. وفي المثل: عبدٌ صريخه أمةٌ، أي: ناصره أذل منه وأضعف . وقيل: الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث، وقيل الصارخ المستغيث والصارخ المغيث. قال الأزهري: ولم أسمع لغير الأصمعي في الصارخ أن يكون بمعنى المغيث. قال: والنَّاس كلهم على أن الصارخ المستغيث، والمصرخ المغيث، والمستصرخ المستغيث أيضا[٣].

---

(١) مجالس ثعلب١/٩

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٦٢٩-٦٣٣، ومعاني القرآن، للزجاج٣/١٥٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٤١، والتفسير البسيط١٢/٤٥٣، والمحرر الوجيز٣/٣٣٤

(٣) لسان العرب، وتهذيب اللغة، مادة(ص ر خ)، وينظر: عمدة الحفاظ، مادة(ص ر خ)

(١٩٠) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾ إبراهيم: ٣٤

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾ قرأت العوام: (من كلِّ ما سألتموه) بالإضافة. وقرأ سلام أبو المنذر[١]:(من كلٌّ ما سألتموه) بالتنوين. فمن قرأ (من كلِّ ما سألتموه) بالإضافة لم يقف على (كلِّ)، ومن نوَّن حسُن له أن يقف على (كلٌّ) ثم يبتدئ:(ما سألتموه) أي: لم تسألوه.

سألت أبا العبَّاس عن هذا فقال لي: من أضاف أراد(وآتاكم من كل ما سأل تموه لوسألتموه)، ومن نوَّن أراد (آتاكم من كل مالم تسألوه)، وذلك أنَّا لم نسأل الله شمساً ولا قمراً ولا كثيراً من نعمه[٢].

الدِّراسة:

كلام ثعلب -رحمه الله- حول توجيه القراءة في الآية، ولها من التوجيه غير ما ذكر.

القراءة في قوله مع التوجيه : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾:

قرأ جمهور القراء بالإضافة، إضافة (كل) إلى (ما).

و(مِنْ) فيها قولان:

الأول: أنها ابتدائية، والمعنى: وآتاكم كل ما سألتموه.

الثاني: أنها تبعيضية، والمعنى: آتاكم بعضاً من جميع ما سألتموه.

---

(١) سلام بن سليمان الطويل أبو المنذر المزني مولاهم، البصري ثم الكوفي المقرء، قرأ على عاصم وأبو عمرو البصري، توفي سنة ١٧١هـ، وينظر: طبقات القراء، لابن الجزري١/٣٠٩، وشذرات الذهب٢/٣٢٨.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل٢/٧٤١

وقرأ ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والحسن والضَّحاك، وقتادة، وسلام أب والمنذر، ويعقوب[1]، ونافع في رواية عنه بالتنوين في (كلٍّ)، وهي قراءة شاذة.

وفي (ما) على هذه القراءة قولان:

الأول: أنها نافية، والمعنى: وآتاكم من كلٍّ ما لم تسألوه.

الثاني: أنها موصولة، والمعنى: وآتاكم من كلٍّ الذي سألتموه[2].

النتيجة:

القراءة المختارة هي قراءة الجمهور لتواترها، والراجح في (مِنْ) أنها تبعيضية لأنه هو الموافق لحقيقة إجابة السؤال من الله تعالى، فالله تعالى لا يجيب كل سؤال للعبد، بل منه ما لا يجيبه فيؤخره له في الآخرة، أو يكون فيه ضرر على العبد فيصرفه عنه ، أو يبدله ما هو خيراً منه.

وأُعترض على أن تكون (مِنْ) تبيعضية، لأن هذا يخُلِي لفظ(كل) من الفائدة.

ويجاب عليه: أن (مِنْ) للإجابة، و(كل) للسؤال، والمعنى: وآتاكم بعضاً من كل الذي سألتموه، ولا إشكال في ذلك.

---

(١) يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله، أبو محمد الحضرمي مولاهم، البصري أحد القراء العشرة، توفي سنة٢٠٥هـ، وينظر: طبقات القراء، لابن الجزري٢/٣٨٦، وسير أعلام النبلاء١٠/١٦٩.

(٢) ينظر: مختصر الشواذ، لابن خالويه:٦٨، وإتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٩، والمحتسب١/٣٦٣، وإعراب القراءات الشواذ١/٧٣٦، والبحر المحيط٥/٤٢٨، والدر المصون٧/١٠٩-١١٠

سورة الحجر

(١٩١) قوله تعالى : ﴿النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الحجر: ٢٤

وقال ثعلب: علمنا من يأتي منكم إلى المسجد متقدماً ومن يأتي متأخراً[١].

الدِّراسة:

الأقوال في الآية:

الأول: الذي يتقدم في الصف الأول في الصلاة والمتأخر في حضوره للصلاة.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، [٢]، وقاله الفرَّاء[٣]، والقرطبي[٤].

واستدلوا بسبب النزول المروي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ امرأة حسناء من أحسن النَّاس، فكان بعض النَّاس يستقدم في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه في الصف، فأنزل الله في شأنها ﴿النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ﴾[٥].

الثاني: المتقدم الميت، والمتأخر الحي.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وعطاء، و الضَّحاك ، وابن زيد، والقرظي[٦]، وقاله ابن جرير[٧]، ومكِّي[٨]، وابن عطية[١]، والشَّوكاني[٢].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٥/٦،٣٢٣/٢٣٥، وينظر: لسان العرب٤/١٢، و١٢/٤٦٧

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٤٨-٥٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٦١

(٣) معاني القرآن٢/٨٨

(٤) الجامع لأحكام القرآن١٢/٢٠١

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٥، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر،(٣١٢٢)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى :﴿النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ﴾ ،(١١٢٧٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الخشوع في الصلاة،(١٠٤٦)، والطبري في جامع البيان١٣/٥٤، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم، ٧/٢٢٦٢، جميعهم من طريق نوح بن قيس، ثنا عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء،عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وقد ضعفه الترمذي، وابن كثير٤/٥٣٢

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٤٨-٥٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٦٢

(٧) جامع البيان١٣/٥٤

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية٦/٣٨٨٤

واستدلوا بدلالة السياق القبلي والبعدي.

قال ابن جرير: وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال معنى ذلك : ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حي ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد ، لدلالة ما قبله من الكلام وهو قوله : ﴿التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ﴾ الحجر: ٢٣، وما بعده وهو قوله: ﴿النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ﴾ الحجر: ٢٥ على أن ذلك كذلك، إذ كان بين هذين الخبرين و لم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه ولا جاء بعده[٣].

الثالث: المتقدم من خرج من الأرحام على وجه الأرض، والمتأخر من كان في أصلاب الرجال لم يخرج بعد.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وعكرمة، وقتادة[٤].

الرابع: من مضى من الأمم الماضية، والمتأخر أمة محمد ﷺ.

روي عن مجاهد[٥].

الخامس: المتقدمون والمسارعون إلى الخير، والمثبطون المتأخرون في الخير.

روي عن الحسن وقتادة[٦].

السادس: المتقدمون في صفوف القتال، والمستأخرين عنها.

روي عن الضَّحاك، ومقاتل[٧].

السابع: من قتل في الجهاد، ومن لم يقتل.

روي عن القرظي[٨].

---

(١) المحرر الوجيز٣/٣٥٨

(٢) فتح القدير٣/١٢٧

(٣) جامع البيان١٣/٥٤

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٤٨-٥٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٦٢

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٤٨-٥٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٦٢

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٤٨-٥٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٦٢

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٤٨-٥٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٦٢

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٤٨-٥٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٦٢

الثامن: أول الخلق، وآخر الخلق.

روي عن عامر الشعبي[1].

التاسع: حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر، والمعنى أنه تعالى محيط علمه بمن تقدم وبمن تأخر وبأحوالهم.

قاله أبو حيَّان[2].

النتيجة:

القول الأول مستنده سبب النزول وقد ضُعِّف، والقول الثاني وافق دلالة اللفظ والسياق، وباقي الأقوال وافق دلالة الألفاظ، فالراجح منها القول الثاني، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٣/٤٨-٥٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٦٢

(٢) البحر المحيط٥/٤٥١

(١٩٢) قوله تعالى: ﴿ٱلْمُزَّمِّلُ ٱلْمُدَّثِّرُ ٱلْقِيَامَةِ ٱلْإِنسَٰنِ ٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ الحجر: ٣٠

وسئل أحمد بن يحيى عن قوله عز وجل: ﴿ٱلْمُزَّمِّلُ ٱلْمُدَّثِّرُ ٱلْقِيَامَةِ ٱلْإِنسَٰنِ ٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ الحجر : ٣٠، **وعن توكيده بـ(كلهم) ثم بـ(أجمعون) فقال: لما كانت (كلهم) تحتمل شيئين، تكون مرة اسماً، ومرة توكيداً، جاء التوكيد الذي لا يكون إلا توكيداً** [١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى(أجمعون):

الأول: أنها توكيد بعد توكيد لنفي احتمال أن يبقى منهم أحد لم يسجد.

وهذا قول ثعلب -رحمه الله- وقاله سيبويه، والخليل[٢]، والزَّجاج [٣]، والنَّحاس [٤]، ومكِّي[٥]، وابن عطية[٦]، والعُكبري[٧]، والسَّمين الحلبي[٨].

الثاني: أن (كل) تفيد وقوع السجود منهم جميعاً، و(أجمعون) تفيد وقوع السجود منهم في وقت واحد.

قاله المبرِّد[٩].

النتيجة:

المختار الأول لأن الثاني قد ضَعَّفه جمهور العلماء[١٠]، حيث يلزم منه أن تكون (أجمعون) نكرة في محل نصب حال، وهي معرفة مرفوعة، فامتنع ذلك.

---

(١) تهذيب اللغة٩/٣٣٣، وينظر: التفسير البسيط١٢/٦٠٢، ولسان العرب١١/٥٩١

(٢) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/١٧٩، وإعراب القرآن، للنحاس٢/٣٨٠، وتهذيب اللغة٩/٣٣٣

(٣) معاني القرآن٣/١٧٩

(٤) إعراب القرآن٢/٣٨٠

(٥) مشكل إعراب غريب القرآن:٣٩٠

(٦) المحرر الوجيز٣/٣٦٠

(٧) إملاء ما من به الرحمن٢/٧٤

(٨) الدر المصون٧/١٥٨

(٩) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/١٧٩، وإعراب القرآن، للنحاس٢/٣٨٠، وتهذيب اللغة٩/٣٣٣

(١٠) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٣/١٧٩، وإعراب القرآن، للنحاس٢/٣٨٠، ومشكل إعراب غريب القرآن:٣٩٠، والمحرر الوجيز٣/٣٦٠، وإملاء ما من به الرحمن٢/٧٤، والدر المصون٧/١٥٨

ثم إن (جميعاً) لا تفيد لوحدها الوقت، بخلاف (معاً)، ففرق بين قولك (جاؤوا جميعاً) و(جاؤوا معاً)، فالأولى تفيد الإحاطة دون الاتحاد في الوقت، وأما الثانية فتفيدهما جميعاً.

(١٩٣) قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الحجر: ٤٠

وقرىء: (إلا عبادك منهم المخلَصين، والمخلِصين)، قال ثعلب: يعني بالمخلِصين: الذين أخلصوا العبادة لله عز وجل، وبالمخلَصين: الذين أخلصهم الله[١].

الدِّراسة:

كلام ثعلب -رحمه الله- حول توجيه القراءات في (المخلصين).

فالقراءة الأولى قرأ به الكوفيون ونافع، والثانية قرأ بها الباقون، وذكر العلماء في توجيهها ما ذكره ثعلب -رحمه الله-، وهي معاني محتملة وجائزة لصحة القراءات فيها وتواترها، ولا تعارض بينها، والله أعلم[٢].

(١) المحكم والمحيط الأعظم٥/٥٩، وينظر: لسان العرب٧/٢٦

(٢) ينظر: السَّبعة:٢٥٨، وجامع البيان، للداني٣/١٢٢٨، والحجة في القراءات السبع، لابن خالوية:١١١، والكشف عن وجوه القراءات السبع٢/٩، والمحرر الوجيز٣/٣٦٢، والبحر المحيط ٥/٤٥٤

(١٩٤) قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ الحجر: ٤١

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾، فسَّرهُ ثعلبٌ فقال: يعنِي المَوْتَ أي عليَّ طرِيقُهُم[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: تهديد ووعيد بالموت والمرجع والمصير إلى الله تعالى، والمعنى : هذا مرجعهم ومصيرهم إلي بعد الموت فأجازيهم.

قاله الكسائي[٢]، والفرَّاء[٣]، وابن جرير[٤].

وضعف هذا القول ابن القيم وقال: والسياق يأبى هذا، ولا يناسبه لمن تأمله[٥].

الثاني: هذا الإخلاص طريق علي مستقيم، أي: يؤدي إليَّ، وإلى جنتي ومرضاتي.

روي عن مجاهد، والحسن[٦]، وقاله ابن القيم[٧].

الثالث: هذا الحفظ للمخلصين من إبليس حق على الله مستقيم أن يراعيه.

قاله أبو حيَّان[٨]، والشَّوكاني[٩]، وابن عاشور[١٠].

الرابع: بعد ما ذكر إغواء إبليس لبني آدم تضمن هذا الكلام تفويض الأمر إلى الله تعالى وإلى إرادته، فقال (هذا) أي: تفويض الأمر إلى إرادتي وأمري ومشيئتي ، صراط عليَّ مستقيم[١١].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٨/٤٣٣

(٢) ينظر: التفسير البسيط١٢/٦٠٧

(٣) معاني القرآن٢/٨٩

(٤) جامع البيان١٤/٦٩

(٥) التفسير القيم:١٦

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/٧٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧/٢٢٦٤

(٧) التفسير القيم:١٥

(٨) البحر المحيط٥/٤٥٤

(٩) فتح القدير٣/١٣١

(١٠) التحرير والتنوير١٤/٥١

(١١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/٧٠-٧١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧/٢٢٦٤، ومعاني القرآن،

الخامس: هذا طريق حق علي مستقيم في بيان هذا الأمر بالبيان والحجة أو التوفيق والهداية.

قاله الأخفش[1].

النتيجة:

الراجح القول الثالث، لدلالة سياق الآيات، وبقاء (على) على معناها المشهور أولى.

للنحاس٤/٢٧، والتفسير البسيط١٢/٦٠٨

(١) معاني القرآن٢/٣٧٩

(١٩٥) قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الحجر: ٥٧

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

ما حالكم، وما أمركم[١].

الدِّراسة:

جمهور المفسِّرين فسَّروه على نحوٍ من تفسير ثعلب -رحمه الله-، ما شأنكم ، وما حالكم، وما الأمر الذي جئتم به[٢].

والخطب: الأمر أو الشأن، صغر أو عظم[٣].

قال ابن عطية: القائل هنا إبراهيم عليه السلام وقوله: ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ سؤال فيه عنف، كما تقول لمن تنكر حاله، ما دهاك، وما مصيبتك، وأنت إنما تريد استفهاماً عن حاله فقط . لأن الخطب لفظة إنما تستعمل في الأمور الشداد[٤].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٣١٧

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤/٨٦، ومعاني القرآن، للزجاج ٣/١٨١، والهداية إلى بلوغ النهاية٦/٣٩١٠، والتفسير البسيط١٢/٦٢١، والمحرر الوجيز٣/٣٦٦، والجامع لأحكام القرآن١٢/٢٢٤، وفتح القدير٣/١٣٥

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(خ ط ب)

(٤) المحرر الوجيز٣/٣٦٦

(١٩٦) قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحجر: ٧٨

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

قال ثعلب: معناه: وما كان أصحاب الأيكة[١] إلا ظالمين[٢].

الدِّراسة:

للعلماء في نوع (إن) قولان:

الأول: أنها هي المخففة من الثقيلة، واللام لام الفرق بين إن النافية والمخففة من الثقيلة أو لام ابتداء، أو توكيد.

وهذا قول البصريين[٣]، واختاره الزَّجاج[٤]، والواحدي[٥]، والعُكبري[٦]، وأبو حيَّان[٧]، والسَّمين الحلبي[٨]، وأبي السعود[٩]، والألوسي[١٠]، وابن عاشور[١١].

الثاني: أنها النافية، واللام بمعنى (إلا)، والمعنى: وما كان أصحاب الأيكة إلا ظالمين.

وهذا قول الكوفيين[١٢].

وضَعَّف هذا القول العُكبري، وقال: وهو ضَعيفٌ جداً، من جهة أن وقوع اللام بمعنى

---

(١) الأيكة: الشَّجر الكثير الملتف، وقيل : الغيضة تنبت السِّدر والأراك ونحوها من ناعم الشَّجر. وهم قوم شعيب عليه السلام، ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة أ ي ك).

(٢) ياقوتة الصراط:٢٩٠

(٣) ينظر: إملاء ما من به الرحمن ٦٧/١، والمحرر الوجيز ٣٧١/٣، والبحر المحيط ٤٦٣/٥٩٩،٥/١، والدر المصون١٥٥/٢

(٤) معاني القرآن١٨٥/٣

(٥) التفسير البسيط٦٤١/١٢

(٦) إملاء ما من به الرحمن٦٧/١

(٧) البحر المحيط٤٦٣/٥٩٩،٥/١

(٨) الدر المصون١٧٨/١٥٥،٧/٢

(٩) إرشاد العقل السليم٨٧/٥

(١٠) روح المعاني٣١٨/٧

(١١) التحرير والتنوير٧١/١٤

(١٢) ينظر: إملاء ما من به الرحمن ٦٧/١، والمحرر الوجيز ٣٧١/٣، والبحر المحيط ٤٦٣/٥٩٩،٥/١، والدر المصون١٥٥/٢

(إلا) لا يشهد له سماع ولا قياس[1].

وقال السَّمين الحلبي: فيه نظر، ليس هذا موضع تحريره[2].

النتيجة:

يترجح القول الأول للآتي:

- القول الثاني ليس له سماع ولا قياس.
- مخالفته لقول جمهور العلماء.

(١) إملاء ما من به الرحمن١/٦٧

(٢) الدر المصون٢/١٥٥

(١٩٧) قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ الحجر: ٧٩

كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

قال أبو العبَّاس: معناه: وإن إبراهيم ولوطا عليهما السلام لبطريق واضح[١].

الدِّراسة:

الأقوال:

الأول: أن شعيباً ولوط عليهما السلام على طريقٍ واضحٍ بينٍ ظاهر يؤتم بهِ.

قاله ابن الأنباري[٢].

الثاني: أن إبراهيم ولوط عليهما السلام على طريقٍ واضحٍ بينٍ ظاهر يؤتم بهِ.

وهذا قول ثعلب -رحمه الله- ولم يذكر شعيباً لأنه لم يصرَّح به في الآيات.

الثالث: إن مدينة الأيكة أي: مدينة قوم شعيب، ومدينة قوم لوط، لبطريق واضح ظاهر.

قاله الفرَّاء[٣]، وابن جرير[٤]، والزَّجاج[٥]، والواحدي[٦]، والبغوي[٧]، وأبو حيَّان [٨]، والسَّمين[٩].

الرابع: أن إهلاك أصحاب الأيكة وقوم لوط، في كتاب بين واضح عند الله تعالى.

قاله مكِّي[١٠].

وجوز ابن عطية جميع ما ذكر[١١].

---

(١) الزاهر في معاني كلمات النَّاس:٤٠٨

(٢) ينظر: زاد المسير٤/٤١١

(٣) معاني القرآن٢/٩١

(٤) جامع البيان١٤/١٠١-١٠٢

(٥) معاني القرآن٣/١٨٥

(٦) التفسير البسيط١٢/٦٤١

(٧) معالم التنزيل٤/٣٨٩

(٨) البحر المحيط٥/٤٦٣

(٩) الدر المصون٧/١٧٨

(١٠) الهداية إلى بلوغ النهاية٦/٣٩٢١، وينظر: النكت والعيون٣/١٦٩، وزاد المسير٤/٤١١

(١١) المحرر الوجيز٣/٣٧٢

النتيجة:

الراجح أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، وهما مدينة الأيكة ومدينة قوم لوط ، وهذا قول جمهور المفسِّرين.

وسمي الطريق إماماً لأن سالكه يأتم به حتى يصل إلى مراده ومقصوده[1].

(١) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٩١/٢، ومجاز القرآن ٣٥٤/١، و جامع البيان، للطبري ١٠٢/١٤، والتفسير البسيط٦٤٢/١٢، والمحرر الوجيز٣٧٢/٣

(١٩٨) قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الحجر : ٨٧

وقال ثعلب لأنها تثنى مع كل سورة[١].

الدِّراسة:

اختلف العلماء في سبب تسمية الفاتحة بالمثاني[٢]، ولهم في ذلك عدة أقوال:

الأول: أنها تثنى قراءتها مع كل سورة في الصلاة.

روي عن الحسن، وقتادة[٣]، وأبي العالية[٤]، وقاله ابن جرير [٥]، والزَّجاج [٦]، والواحدي[٧]، والبغوي[٨]، وابن عطية[٩]، والقرطبي[١٠]، وابن كثير[١١].

الثاني: أن الله استثناها لهذه الأمة فادخرها لهم.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[١٢].

الثالث: لأن كلماتها مُثنَّاة، مثل الرحمن الرحيم، إياك وإياك، الصراط وصراط، ومثل ذلك[١٣].

الرابع: لأنها قسمت قسمين اثنين بين الله وعبده، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) لسان العرب١٤/١١٨

(٢) وسميت السبع الطوال بالمثاني وهذا القول الثاني في المراد بالمثاني، ينظر : جامع البيان،للطبري١٤/١٠٧-١١٢، والتفسير البسيط١٢/٦٥١، وزاد المسير٤/٤١٤

(٣) ينظر: جامع البيان،للطبري١٤/١١٨، والتفسير البسيط١٢/٦٤٧، وزاد المسير٤/٤١٤

(٤) ينظر: جامع البيان،للطبري١٤/١١٦

(٥) جامع البيان١٤/١٠٧

(٦) معاني القرآن٣/١٨٥

(٧) التفسير البسيط١٢/٦٤٧

(٨) معالم التنزيل١/٤٩

(٩) المحرر الوجيز١/٦٥

(١٠) والجامع لأحكام القرآن١/١٧٣

(١١) تفسير القرآن العظيم١/١٠٢

(١٢) ينظر: جامع البيان،للطبري١٤/١١٩

(١٣) ينظر: جامع البيان،للطبري١٤/١٢٦، والتفسير البسيط١٢/٦٥٠، وزاد المسير٤/٤١٤

القدسي:(**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين، .....) الحديث**[1]، يريد الفاتحة ، قسم ثناء على الله تعالى، وقسم دعاء من العبد لربه [2].

الخامس: أنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة.

قاله الحسين بن الفضل[3] [4].

السادس: أنها من الثناء، فهي مما أثني فيها على الله تعالى.

قاله الزَّجاج[5].

النتيجة:

أقرب الأقوال في سبب تسمية الفاتحة بالمثاني، هوما اشتق من الثنية على سبيل التكرير . هذا ما يدل عليه لفظ (مثاني) في اللغة[6]، وهو ما يوافق القول الأول والثالث، والأول المختار لأن عليه الجمهور، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، رقم(٣٩٥)

(٢) ينظر: التفسير البسيط١٢/٦٤٩، وزاد المسير٤/٤١٣

(٣) الحسين بن الفضل بن عمير، أبو علي البَجَلي الكوفي، المفسِّر اللغوي المحدِّث، توفي سنة ٢٨٢هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/١٥٦، وسير أعلام النبلاء١٣/٤١٤.

(٤) ينظر: التفسير البسيط١٢/٦٥٠، وزاد المسير٤/٤١٤

(٥) معاني القرآن٣/١٨٥، وينظر: التفسير البسيط١٢/٦٥٠، وزاد المسير٤/٤١٣

(٦) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ث ن ى)